القصة

قصة تعاملات الله مع الإنسان

www.christianlib.com

جميع النصوص مأخوذة من الترجمة العربية للكتاب المقدس

٧

بدأت الحرب

وكانَ بَعدَ موتِ موسَى عَبدِ الرَّبِّ أنَّ الرَّبَّ كلَّمَ يَشوعَ بنَ نونٍ خادِمَ موسَى قائلًا: «موسَى عَبدي قد ماتَ. فالآنَ قُمْ اعبُرْ هذا الأُردُنَّ أنتَ وكُلُّ هذا الشَّعبِ إلَى الأرضِ الّتي أنا مُعطيها لهُمْ أيْ لبَني إسرائيلَ. كُلَّ مَوْضِعٍ تدوسُهُ بُطونُ أقدامِكُمْ لكُمْ أعطَيتُهُ، كما كلَّمتُ موسَى. مِنَ البَرّيَّةِ ولُبنانَ هذا إلَى النَّهرِ الكَبيرِ نهرِ الفُراتِ، جميعِ أرضِ الحِثّيّينَ، وإلَى البحرِ الكَبيرِ نَحوَ مَغرِبِ الشَّمسِ يكونُ تُخمُكُمْ (حدود أرضكم). لا يَقِفُ إنسانٌ في وجهِكَ كُلَّ أيّامِ حَياتِكَ. كما كُنتُ مع موسَى أكونُ معكَ. لا أُهمِلُكَ ولا أترُكُكَ. تشَدَّدْ وتَشَجَّعْ، لأنَّكَ أنتَ تقسِمُ لهذا الشَّعبِ الأرضَ الّتي حَلَفتُ لآبائِهِمْ أنْ أُعطيَهُمْ.

إنَّما كُنْ مُتَشَدِّدًا، وتَشَجَّعْ جِدًّا لكَيْ تتَحَفَّظَ للعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ الشَّريعَةِ الّتي أمَرَكَ بها موسَى عَبدي. لا تمِلْ عنها يَمينًا ولا شِمالًا لكَيْ تُفلِحَ حَيثُما تذهَبُ. لا يَبرَحْ سِفرُ هذِهِ الشَّريعَةِ مِنْ فمِكَ، بل تلهَجُ فيهِ نهارًا وليلًا، لكَيْ تتَحَفَّظَ للعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ ما هو مَكتوبٌ فيهِ. لأنَّكَ

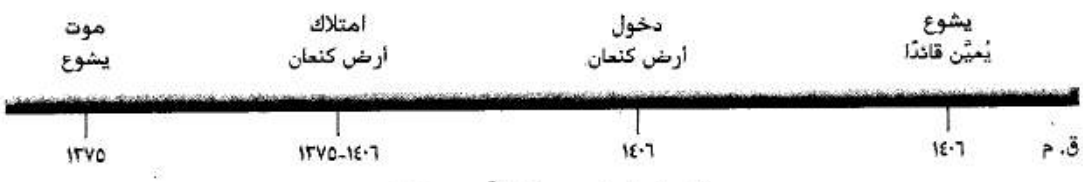

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

حينَئذٍ تُصلِحُ طريقَكَ وحينَئذٍ تُفلِحُ. أما أمَرتُكَ؟ تشَدَّدْ وتَشَجَّعْ! لا ترهَبْ ولا ترتَعِبْ لأنَّ الرَّبَّ إلهَكَ معكَ حَيثُما تذهَبُ».

فأمَرَ يَشوعُ عُرَفاءَ (قادة) الشَّعبِ قائلًا: «جوزوا (مرّوا) في وسَطِ المَحَلَّةِ وأمُروا الشَّعبَ قائلينَ: هَيِّئوا لأنفُسِكُمْ زادًا (طعامًا)، لأنَّكُمْ بَعدَ ثَلاثَةِ أيّامٍ تعبُرونَ الأُردُنَّ هذا لكَيْ تدخُلوا فتمتَلِكوا الأرضَ الّتي يُعطيكُمُ الرَّبُّ إلهُكُمْ لتمتَلِكوها».

فأجابوا يَشوعَ قائلينَ: «كُلَّ ما أمَرتَنا بِهِ نَعمَلُهُ، وحَيثُما تُرسِلنا نَذهَبْ. حَسَبَ كُلِّ ما سمِعنا لموسَى نَسمَعُ لكَ. إنَّما الرَّبُّ إلهُكَ يكونُ معكَ كما كانَ مع موسَى. كُلُّ إنسانٍ يَعصَى قَوْلكَ ولا يَسمَعُ كلامَكَ في كُلِّ ما تأمُرُهُ بِهِ يُقتَلُ. إنَّما كُنْ مُتَشَدِّدًا وتَشَجَّعْ».

فأرسَلَ يَشوعُ بنُ نونٍ مِنْ شِطّيمَ رَجُلَينِ جاسوسينِ سِرًّا، قائلًا: «اذهَبا انظُرا الأرضَ وأريحا». فذَهَبا ودَخَلا بَيتَ امرأةٍ زانيَةٍ اسمُها راحابُ واضطَجَعا (استراحا) هناكَ.

فقيلَ لمَلِكِ أريحا: «هوذا قد دَخَلَ إلَى هنا اللَّيلَةَ رَجُلانِ مِنْ بَني إسرائيلَ لكَيْ يتَجَسَّسا الأرضَ». فأرسَلَ مَلِكُ أريحا إلَى راحابَ يقولُ: «أخرِجي الرَّجُلَينِ اللَّذَينِ أتَيا إلَيكِ ودَخَلا بَيتَكِ، لأنَّهُما قد أتَيا لكَيْ يتَجَسَّسا الأرضَ كُلَّها».

فأخَذَتِ المَرأةُ الرَّجُلَينِ وخَبّأتهُما وقالَتْ: «نَعَمْ جاءَ إلَيَّ الرَّجُلانِ ولَمْ أعلَمْ مِنْ أين هُما. وكانَ نَحوَ انغِلاقِ البابِ في الظَّلامِ أنَّهُ خرجَ الرَّجُلانِ. لَستُ أعلَمُ أين ذَهَبَ الرَّجُلانِ. اسعَوْا سريعًا وراءَهُما حتَّى تُدرِكوهُما». وأمّا هي فأطلَعَتهُما علَى السَّطحِ ووارَتهُما (خبأتهما) بَينَ عيدانِ كتّانٍ لها مُنَضَّدَةٌ (مرصوصة) علَى السَّطحِ. فسعَى القَوْمُ وراءَهُما في طريقِ الأُردُنِّ إلَى المَخاوِضِ (المياه الضحلة). وحالَما خرجَ الّذينَ

سعَوْا وراءَهُما، أغلَقوا البابَ. وأمّا هُما فقَبلَ أنْ يَضطَجِعا، صَعِدَتْ إليهِما إلَى السَّطحِ وقالَتْ للرَّجُلَينِ: «عَلِمتُ أنَّ الرَّبَّ قد أعطاكُمُ الأرضَ، وأنَّ رُعبَكُمْ قد وقَعَ علَينا، وأنَّ جميعَ سُكّانِ الأرضِ ذابوا (ارتعبوا) مِنْ أجلِكُمْ، لأنَّنا قد سمِعنا كيفَ يَبَّسَ الرَّبُّ مياهَ بحرِ سوفَ قُدّامَكُمْ عِندَ خُروجِكُمْ مِنْ مِصرَ، وما عَمِلتُموهُ بمَلِكَي الأموريّينَ اللَّذَينِ في عَبرِ الأُردُنِّ: سيحونَ وعوجَ، اللَّذَينِ حَرَّمتُموهُما. سمِعنا فذابَتْ قُلوبُنا ولَمْ تبقَ بَعدُ روحٌ في إنسانٍ بسَبَبِكُمْ، لأنَّ الرَّبَّ إلهَكُمْ هو اللهُ في السماءِ مِنْ فوقُ وعلَى الأرضِ مِنْ تحتُ.

فالآنَ احلِفا لي بالرَّبِّ وأعطياني عَلامَةَ أمانَةٍ -لأنّي قد عَمِلتُ معكُما مَعروفًا- بأنْ تعمَلا أنتُما أيضًا مع بَيتِ أبي (عائلتي) مَعروفًا. وتَستَحييا أبي وأُمّي وإخوَتي وأخَواتي وكُلَّ ما لهُمْ وتُخَلِّصا أنفُسَنا مِنَ الموتِ».

فقالَ لها الرَّجُلانِ: «نَفسُنا عِوَضُكُمْ للموتِ إنْ لَمْ تُفشوا أمرَنا هذا. ويكونُ إذا أعطانا الرَّبُّ الأرضَ أنَّنا نَعمَلُ معكِ مَعروفًا وأمانَةً».

فأنزَلَتهُما بحَبلٍ مِنَ الكوَّةِ (نافذة)، لأنَّ بَيتَها بحائطِ السّورِ، وهي سكَنَتْ بالسّورِ. وقالَتْ لهُما: «اذهَبا إلَى الجَبَلِ لئَلّا يُصادِفكُما السُّعاةُ (الذين يسعون وراءهما)، واختَبِئا هناكَ ثَلاثَةَ أيّامٍ حتَّى يَرجِعَ السُّعاةُ، ثُمَّ اذهَبا في طريقِكُما».

فانطَلَقا وجاءا إلَى الجَبَلِ ولَبِثا (بقيا) هناكَ ثَلاثَةَ أيّامٍ حتَّى رَجَعَ السُّعاةُ. وفَتَّشَ السُّعاةُ في كُلِّ الطريقِ فلَمْ يَجِدوهُما. ثُمَّ رَجَعَ الرَّجُلانِ ونَزَلا عن الجَبَلِ وعَبَرا وأتَيا إلَى يَشوعَ بنِ نونٍ وقَصّا علَيهِ كُلَّ ما أصابَهُما. وقالا ليَشوعَ: «إنَّ الرَّبَّ قد دَفَعَ بيَدِنا الأرضَ كُلَّها، وقَدْ ذابَ كُلُّ سُكّانِ الأرضِ بسَبَبِنا».

كان هناك عائقان أمام شعب إسرائيل للوصول إلى أرض الموعد. العائق الأول نهر الأردن الذي كانت مياهه عميقة وليس عليه جسور. والعائق الثاني هو طقس الختان الذي هو علامة العهد بين الله وشعبه (لأن ليس أحد من هذا الجيل كان مختتنًا).

أعد يشوع مسيرة التحرك تجاه أرض كنعان، وجعل تابوت العهد في الأمام ليقود الشعب في الطريق. عندما وضع الكهنة الذين يحملون تابوت العهد أقدامهم في مياه نهر الأردن، توقف النهر عن جريانه، وعبر الشعب على الأرض اليابسة. بمجرد أن نصب الشعب خيامه على الضفة الأخرى من النهر، بدأ يشوع في ختان جميع الذكور من الشعب.

بعد ذلك بدأ الشعب في الاستعداد لخوض أول حرب، التي كانت بمثابة امتحان للإيمان، بعد ٤٠ سنة من التدريب.

وكانتْ أريحا مُغَلَّقَةً مُقَفَّلَةً بسَبَبِ بَني إسرائيلَ. لا أحَدٌ يَخرُجُ ولا أحَدٌ يَدخُلُ. فقالَ الرَّبُّ ليَشوعَ: «انظُرْ. قد دَفَعتُ بيَدِكَ أريحا ومَلِكَها، جَبابِرَةَ البأسِ. تدورونَ دائرَةَ المدينةِ، جميعُ رِجالِ الحَربِ. حَوْلَ المدينةِ مَرَّةً واحِدَةً. هكذا تفعَلونَ سِتَّةَ أيّامٍ. وسَبعَةُ كهَنَةٍ يَحمِلونَ أبواقَ الهُتافِ السَّبعَةَ أمامَ التّابوتِ. وفي اليومِ السّابِعِ تدورونَ دائرَةَ المدينةِ سبعَ مَرّاتٍ، والكهنةُ يَضرِبونَ بالأبواقِ. ويكونُ عِندَ امتِدادِ صوتِ قَرنِ الهُتافِ، عِندَ استِماعِكُمْ صوتَ البوقِ، أنَّ جميعَ الشَّعبِ يَهتِفُ هُتافًا عظيمًا، فيَسقُطُ سورُ المدينةِ في مَكانِهِ، ويَصعَدُ الشَّعبُ كُلُّ رَجُلٍ مع وجهِهِ (حسب موقعه)».

فدَعا يَشوعُ بنُ نونٍ الكهنةَ وقالَ لهُمُ: «احمِلوا تابوتَ العَهدِ. وليَحمِلْ سبعَةُ كهَنَةٍ سبعَةَ أبواقِ هُتافٍ أمامَ تابوتِ الرَّبِّ». وقالَ للشَّعبِ: «اجتازوا ودوروا دائرَةَ المدينةِ، وليَجتَزِ المُتَجَرِّدُ (الذي يحمل سلاحه) أمامَ تابوتِ الرَّبِّ».

وكانَ كما قالَ يَشوعُ للشَّعبِ. اجتازَ السَّبعَةُ الكهنةُ حامِلينَ أبواقَ الهُتافِ السَّبعَةَ أمامَ الرَّبِّ، وضَرَبوا بالأبواقِ. وتابوتُ عَهدِ الرَّبِّ سائرٌ وراءَهُمْ، وكُلُّ مُتَجَرِّدٍ سائرٌ أمامَ الكهنةِ الضّارِبينَ بالأبواقِ. والسّاقَةُ (الحرس الخلفي) سائرَةٌ وراءَ التّابوتِ. كانوا يَسيرونَ ويَضرِبونَ بالأبواقِ. وأمَرَ يَشوعُ الشَّعبَ قائلًا: «لا تهتِفوا ولا تُسَمِّعوا صوتَكُمْ، ولا تخرُجْ مِنْ أفواهِكُمْ كلِمَةٌ حتَّى يومَ أقولُ لكُمُ: اهتِفوا. فتهتِفونَ». فدارَ تابوتُ الرَّبِّ حَوْلَ المدينةِ مَرَّةً واحِدَةً. ثُمَّ دَخَلوا المَحَلَّةَ وباتوا في المَحَلَّةِ.

فبَكَّرَ يَشوعُ في الغَدِ، وحَمَلَ الكهنةُ تابوتَ الرَّبِّ، والسَّبعَةُ الكهنةُ الحامِلونَ أبواقَ الهُتافِ السَّبعَةَ أمامَ تابوتِ الرَّبِّ سائرونَ سيرًا وضارِبونَ بالأبواقِ، والمُتَجَرِّدونَ سائرونَ أمامَهُمْ، والسّاقَةُ سائرَةٌ وراءَ تابوتِ الرَّبِّ. كانوا يَسيرونَ ويَضرِبونَ بالأبواقِ. وداروا بالمدينةِ في اليومِ الثّاني مَرَّةً واحِدَةً، ثُمَّ رَجَعوا إلَى المَحَلَّةِ. هكذا فعَلوا سِتَّةَ أيّامٍ.

وكانَ في اليومِ السّابِعِ أنهُم بَكَّروا عِندَ طُلوعِ الفَجرِ وداروا دائرَةَ المدينةِ علَى هذا المِنوالِ سبعَ مَرّاتٍ. في ذلكَ اليومِ فقط داروا دائرَةَ المدينةِ سبعَ مَرّاتٍ. وكانَ في المَرَّةِ السّابِعَةِ عندما ضَرَبَ الكهنةُ بالأبواقِ أنَّ يَشوعَ قالَ للشَّعبِ: «اهتِفوا، لأنَّ الرَّبَّ قد أعطاكُمُ المدينةَ. فتكونُ المدينةُ وكُلُّ ما فيها مُحَرَّمًا (مخصصًا) للرَّبِّ. راحابُ الزّانيَةُ فقط تحيا هي وكُلُّ مَنْ معها في البَيتِ، لأنَّها قد خَبّأتِ المُرسَلَينِ اللَّذَينِ أرسَلناهُما.

فهَتَفَ الشَّعبُ وضَرَبوا بالأبواقِ. وكانَ حينَ سمِعَ الشَّعبُ صوتَ البوقِ أنَّ الشَّعبَ هَتَفَ هُتافًا عظيمًا، فسقَطَ السّورُ في مَكانِهِ، وصَعِدَ الشَّعبُ إلَى المدينةِ كُلُّ رَجُلٍ مع وجهِهِ، وأخَذوا المدينةَ. وحَرَّموا

(قتلوا) كُلَّ ما في المدينةِ مِنْ رَجُلٍ وامرأةٍ، مِنْ طِفلٍ وشَيخٍ، حتَّى البَقَرَ والغَنَمَ والحَميرَ بحَدِّ السَّيفِ.

وقالَ يَشوعُ للرَّجُلَينِ اللَّذَينِ تجَسَّسا الأرضَ: «ادخُلا بَيتَ المَرأةِ الزّانيَةِ وأخرِجا مِنْ هناكَ المَرأةَ وكُلَّ ما لها كما حَلَفتُما لها». فدَخَلَ الغُلامانِ الجاسوسانِ وأخرَجا راحابَ وأباها وأُمَّها وإخوَتَها وكُلَّ ما لها، وأخرَجا كُلَّ عَشائرِها وتَرَكاهُمْ خارِجَ مَحَلَّةِ إسرائيلَ.

وأحرَقوا المدينةَ بالنّارِ مع كُلِّ ما بها، إنَّما الفِضَّةُ والذَّهَبُ وآنيَةُ النُّحاسِ والحَديدِ جَعَلوها في خِزانَةِ بَيتِ الرَّبِّ. واستَحيا يَشوعُ راحابَ الزّانيَةَ وبَيتَ أبيها وكُلَّ ما لها، وسَكَنَتْ في وسَطِ إسرائيلَ إلَى هذا اليومِ، لأنَّها خَبّأتِ المُرسَلَينِ اللَّذَينِ أرسَلهُما يَشوعُ لكَيْ يتَجَسَّسا أريحا.

بالإيمانِ راحابُ الزّانيَةُ لَمْ تهلِكْ مع العُصاةِ، إذ قَبِلَتِ الجاسوسينِ بسَلامٍ.

وحَلَفَ يَشوعُ في ذلكَ الوقتِ قائلاً: «مَلعونٌ قُدّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الّذي يَقومُ ويَبني هذِهِ المدينةَ أريحا». وكانَ الرَّبُّ مع يَشوعَ، وكانَ خَبَرُهُ في جميعِ الأرضِ.

كان أمر الرب ليشوع وبني إسرائيل أن يخصصوا غنائم الحرب للرب وحده، وأطاع الشعب هذا الأمر باستثناء واحد فقط، إنه عخان بن كرمي. وبسبب خطأ عخان وخيانته لم يكن الرب مع شعبه خلال حربهم مع مدينة عاي مما أدى إلى هزيمة بني إسرائيل في الحرب. وعندما ارتبك يشوع وقادة الشعب وأصابتهم الحيرة، كشف لهم الرب عن السبب في هزيمتهم، فقدم الشعب توبة إلى الله وقاموا بقتل عخان بن كرمي.

فقالَ الرَّبُّ ليَشوعَ: «لا تخَفْ ولا ترتَعِبْ. خُذْ معكَ جميعَ رِجالِ الحَربِ، وقُمِ اصعَدْ إلَى عايٍ. انظُرْ. قد دَفَعتُ بيَدِكَ مَلِكَ عايٍ وشَعبَهُ ومَدينَتَهُ وأرضَهُ، فتفعَلُ بعايٍ ومَلِكِها كما فعَلتَ بأريحا ومَلِكِها. غَيرَ أنَّ غَنيمَتَها وبَهائمَها تنهَبونَها لنُفوسِكُمُ. اجعَلْ كمينًا للمدينةِ مِنْ ورائها».

فبَكَّرَ يَشوعُ في الغَدِ وعَدَّ الشَّعبَ، وصَعِدَ هو وشُيوخُ إسرائيلَ قُدّامَ الشَّعبِ إلَى عايٍ. وجميعُ رِجالِ الحَربِ الّذينَ معهُ صَعِدوا وتَقَدَّموا وأتَوْا إلَى مُقابِلِ المدينةِ، ونَزلوا شِماليَّ عايٍ، والوادي بَينَهُمْ وبَينَ عايٍ. فأخَذَ نَحوَ خَمسَةِ آلافِ رَجُلٍ وجَعَلَهُمْ كمينًا بَينَ بَيتِ إيلَ وعايٍ غَربيَّ المدينةِ. وأقاموا الشَّعبَ، أيْ كُلَّ الجَيشِ الّذي شِماليَّ المدينةِ، وكمينَهُ غَربيَّ المدينةِ. وسارَ يَشوعُ تِلكَ اللَّيلَةَ إلَى وسَطِ الوادي.

وكانَ لَمّا رأى مَلِكُ عايٍ ذلكَ أنهُم أسرَعوا وبَكَّروا، وخرجَ رِجالُ المدينةِ لِلقاءِ إسرائيلَ للحَربِ، هو وجميعُ شَعبِهِ في الميعادِ إلَى قُدّامِ السَّهلِ، وهو لا يَعلَمُ أنَّ علَيهِ كمينًا وراءَ المدينةِ. فأعطَى يَشوعُ وجميعُ إسرائيلَ انكِسارًا (تظاهروا بالخوف والهزيمة) أمامَهُمْ وهَرَبوا في طريقِ البَرّيَّةِ. فأُلقيَ الصَّوْتُ (صدرت الأوامر) علَى جميعِ الشَّعبِ الّذينَ في المدينةِ للسَّعيِ وراءَهُمْ، فسعَوْا وراءَ يَشوعَ وانجَذَبوا (ابتعدوا) عن المدينةِ ولَمْ يَبقَ في عايٍ أو في بَيتِ إيلٍ رَجُلٌ لَمْ يَخرُجْ وراءَ إسرائيلَ. فتَرَكوا المدينةَ مَفتوحَةً (بدون حراسة) وسَعَوْا وراءَ إسرائيلَ.

فقالَ الرَّبُّ ليَشوعَ: «مُدَّ المِزراقَ (الرمح) الّذي بيَدِكَ نَحوَ عايٍ لأنّي بيَدِكَ أدفَعُها». فمَدَّ يَشوعُ المِزراقَ الّذي بيَدِهِ نَحوَ المدينةِ. فقامَ الكَمينُ بسُرعَةٍ مِنْ مَكانِهِ ورَكَضوا عندما مَدَّ يَدَهُ، ودَخَلوا المدينةَ وأخَذوها، وأسرَعوا وأحرَقوا المدينةَ بالنّارِ.

فالتَفَتَ رِجالُ عايٍ إلَى ورائِهِمْ ونَظَروا وإذا دُخانُ المدينةِ قد صَعِدَ

إلَى السماءِ. فلَمْ يَكُنْ لهُمْ مَكانٌ للهَرَبِ هنا أو هناكَ. والشَّعبُ الهارِبُ إلَى البَرِّيَّةِ انقَلَبَ علَى الطّارِدِ. ولَمّا رأى يَشوعُ وجميعُ إسرائيلَ أنَّ الكَمينَ قد أخَذَ المدينةَ، وأنَّ دُخانَ المدينةِ قد صَعِدَ، انثَنَوْا (رجعوا ثانية) وضَرَبوا رِجالَ عايٍ. وهؤُلاءِ خرجوا مِنَ المدينةِ لِلِقائِهِمْ، فكانوا في وسَطِ إسرائيلَ، هؤُلاءِ مِنْ هنا وأولئكَ مِنْ هناكَ. وضَرَبوهُم حتَّى لَمْ يَبقَ مِنهُمْ شارِدٌ (هارب) ولا مُنفَلِتٌ.

فكانَ جميعُ الّذينَ سقَطوا في ذلكَ اليوم مِنْ رِجالٍ ونِساءٍ اثنَيْ عشَرَ ألفًا، جميعُ أهلِ عايٍ. حينَئِذٍ بَنَى يَشوعُ مَذبَحًا للرَّبِّ إلهِ إسرائيلَ في جَبَلِ عيبالَ، كما أمَرَ موسَى عَبدُ الرَّبِّ بَني إسرائيلَ.

وبَعدَ ذلكَ قَرأَ جميعَ كلامِ التَّوْراةِ: البَرَكَةَ واللَّعنَةَ، حَسَبَ كُلِّ ما كُتِبَ في سِفرِ التَّوْراةِ. لَمْ تكُنْ كلِمَةٌ مِنْ كُلِّ ما أمَرَ بهِ موسَى لَمْ يَقرأها يَشوعُ قُدّامَ كُلِّ جَماعَةِ إسرائيلَ والنِّساءِ والأطفالِ والغَريبِ السّائرِ في وسَطِهِمْ.

لقد ساعد الرب بني إسرائيل وجعلهم ينتصرون في حربهم مع عاي. ومع هذا وقع يشوع في خطأ كبير، وهو أنه لم يطلب المشورة من الرب، وذلك عندما جاء إلى يشوع بعض الرجال الجبعونيين وخدعوه وادعوا كذبًا أنهم قادمين من مكان بعيد، وطلبوا منه أن يقطع معهم عهدًا بالسلام وعدم الحرب. وبدون أن يستشير يشوع الرب، عمل معهم صلحًا وقطع لهم عهدًا بألا يقاتلهم. ولما اكتشف يشوع بعد ذلك أن الرجال الذين قابلوه وقطع معهم العهد هم من جبعون (وهي قبيلة مجاورة لهم في وسط أرض كنعان)، لم يستطع أن يفعل شيئًا أو يعلن الحرب عليهم أو يأخذ أرضهم، بسبب المعاهدة. سمع ملوك القبائل المجاورة أن يشوع عقد صلحًا مع الجبعونيين، فجهزوا جيوشهم وحملوا أسلحتهم ونزلوا على جبعون وحاربوها.

فلَمّا سمِعَ أدوني صادَقَ مَلِكُ أورُشَليمَ أنَّ يَشوعَ قد أخَذَ عايَ وحَرَّمَها. كما فعَلَ بأريحا ومَلِكِها فعَلَ بعايٍ ومَلِكِها، وأنَّ سُكّانَ جِبعونَ قد صالَحوا إسرائيلَ وكانوا في وسَطِهِمْ، خافَ جِدًّا، لأنَّ جِبعونَ مدينةٌ عظيمَةٌ كإحدَى المُدُنِ المَلكيَّةِ، وهي أعظَمُ مِنْ عايٍ، وكُلُّ رِجالِها جَبابِرَةٌ. فأرسَلَ أدوني صادَقَ مَلِكُ أورُشَليمَ إلَى هوهامَ مَلِكِ حَبرونَ، وفِرآمَ مَلِكِ يَرموتَ، ويافيعَ مَلِكِ لَخيشَ، ودَبيرَ مَلِكِ عَجلونَ يقولُ: «اصعَدوا إلَيَّ وأعينوني، فنَضرِبَ جِبعونَ لأنَّها صالَحَتْ يَشوعَ وبَني إسرائيلَ».

فاجتَمَعَ مُلوكُ الأموريّينَ الخَمسَةُ: مَلِكُ أورُشَليمَ، ومَلِكُ حَبرونَ، ومَلِكُ يَرموتَ، ومَلِكُ لَخيشَ، ومَلِكُ عَجلونَ، وصَعِدوا هُم وكُلُّ جُيوشِهِمْ ونَزَلوا علَى جِبعونَ وحارَبوها. فأرسَلَ أهلُ جِبعونَ إلَى يَشوعَ إلَى المَحَلَّةِ في الجِلجالِ يقولونَ: «لا تُرخِ يَدَيكَ (لا تتخلى) عن عَبيدِكَ. اصعَدْ إلَينا عاجِلًا وخَلِّصنا وأعِنّا، لأنَّهُ قد اجتَمَعَ علَينا جميعُ مُلوكِ الأموريّينَ السّاكِنينَ في الجَبَلِ».

فصَعِدَ يَشوعُ مِنَ الجِلجالِ هو وجميعُ رِجالِ الحَربِ معهُ وكُلُّ جَبابِرَةِ البأس. فقالَ الرَّبُّ ليَشوعَ: «لا تخَفهُمْ، لأنّي بيَدِكَ قد أسلَمتُهُمْ. لا يَقِفُ رَجُلٌ مِنهُمْ بوَجهِكَ».

فأتَى إليهِمْ يَشوعُ بَغتَةً (فجأة). صَعِدَ اللَّيلَ كُلَّهُ مِنَ الجِلجالِ. فأزعَجَهُمُ الرَّبُّ أمامَ إسرائيلَ، وضَرَبَهُمْ (هزمهم) ضَربَةً عظيمَةً في جِبعونَ، وطَرَدَهُمْ في طريقِ عَقَبَةِ بَيتِ حورونَ، وضَرَبَهُمْ إلَى عَزيقَةَ وإلَى مَقّيدَةَ. وبَينَما هُم هارِبونَ مِنْ أمامِ إسرائيلَ وهُم في مُنحَدَرِ بَيتِ حورونَ، رَماهُمُ الرَّبُّ بحِجارَةٍ عظيمَةٍ مِنَ السماءِ إلَى عَزيقَةَ فماتوا. والّذينَ ماتوا بحِجارَةِ البَرَدِ (الثلج) هُم أكثَرُ مِنَ الّذينَ قَتَلَهُمْ بَنو إسرائيلَ بالسَّيفِ.

حينَئِذٍ كلَّمَ يَشوعُ الرَّبَّ، يومَ أسلَمَ الرَّبُّ الأموريّينَ أمامَ بَني إسرائيلَ، وقالَ أمامَ عُيونِ إسرائيلَ:

«يا شَمسُ دومي علَى جِبعونَ،
ويا قَمَرُ علَى وادي أيَّلونَ».

فدامَتِ الشَّمسُ
ووقَفَ القَمَرُ
حتَّى انتقَمَ الشَّعبُ مِنْ أعدائِهِ.

أليس هذا مَكتوبًا في سِفرِ ياشَرَ؟ فوَقَفَتِ الشَّمسُ في كبِدِ السماءِ (أعلاها) ولَمْ تعجَلْ للغُروبِ نَحوَ يومٍ كامِلٍ. ولَمْ يَكُنْ مِثلُ ذلكَ اليوم قَبلهُ ولا بَعدَهُ سمِعَ فيهِ الرَّبُّ صوتَ إنسانٍ، لأنَّ الرَّبَّ حارَبَ عن إسرائيلَ.

ثُمَّ رَجَعَ يَشوعُ وجميعُ إسرائيلَ معهُ إلَى المَحَلَّةِ في الجِلجالِ. فهَرَبَ أولئكَ الخَمسَةُ المُلوكِ واختَبأوا في مَغارَةٍ في مَقّيدَةَ. فأُخبِرَ يَشوعُ وقيلَ لهُ: «قد وُجِدَ المُلوكُ الخَمسَةُ مُختَبِئينَ في مَغارَةٍ في مَقّيدَةَ». فقالَ يَشوعُ: «دَحرِجوا حِجارَةً عظيمَةً علَى فمِ المَغارَةِ، وأقيموا علَيها رِجالًا لأجل حِفظِهِمْ. وأمّا أنتُمْ فلا تقِفوا، بل اسعَوْا وراءَ أعدائكُمْ واضرِبوا مؤَخَّرَهُمْ. لا تدَعوهُم يَدخُلونَ مُدُنَهُمْ، لأنَّ الرَّبَّ إلهَكُمْ قد أسلَمَهُمْ بيَدِكُمْ».

ولَمّا انتَهَى يَشوعُ وبَنو إسرائيلَ مِنْ ضَربِهِمْ ضَربَةً عظيمَةً جِدًّا حتَّى فنوا، والشَّرَدُ الّذينَ شَرَدوا مِنهُمْ دَخَلوا المُدُنَ المُحَصَّنَةَ. رَجَعَ جميعُ الشَّعبِ إلَى المَحَلَّةِ إلَى يَشوعَ في مَقّيدَةَ بسَلامٍ. لَمْ يَسُنَّ أحَدٌ لسانَهُ (يتكلم) علَى بَني إسرائيلَ.

فقالَ يَشوعُ: «افتَحوا فمَ المَغارَةِ وأخرِجوا إلَيَّ هؤُلاءِ الخَمسَةَ

المُلوكِ مِنَ المَغارَةِ». ففَعَلوا كذلكَ، وأخرَجوا إليهِ أولئكَ المُلوكَ الخَمسَةَ مِنَ المَغارَةِ: مَلِكَ أورُشَليمَ، ومَلِكَ حَبرونَ، ومَلِكَ يَرموتَ، ومَلِكَ لَخيشَ، ومَلِكَ عَجلونَ. وكانَ لَمّا أخرَجوا أولئكَ المُلوكَ إلَى يَشوعَ أنَّ يَشوعَ دَعا كُلَّ رِجالِ إسرائيلَ، وقالَ لقوّادِ رِجالِ الحَربِ الّذينَ ساروا معهُ: «تقَدَّموا وضَعوا أرجُلكُمْ علَى أعناقِ هؤُلاءِ المُلوكِ». فتقَدَّموا ووضَعوا أرجُلهُمْ علَى أعناقِهِمْ.

فقالَ لهُمْ يَشوعُ: «لا تخافوا ولا ترتَعِبوا. تشَدَّدوا وتَشَجَّعوا. لأنَّهُ هكذا يَفعَلُ الرَّبُّ بجميع أعدائكُمُ الّذينَ تُحارِبونَهُمْ». وضَرَبَهُمْ يَشوعُ بَعدَ ذلكَ وقَتَلهُمْ وعَلَّقهُمْ علَى خَمسِ خَشَبٍ، وبَقَوْا مُعَلَّقينَ علَى الخَشَبِ حتَّى المساءِ.

وكانَ عِندَ غُروبِ الشَّمسِ أنَّ يَشوعَ أمَرَ فأنزَلوهُم عن الخَشَبِ وطَرَحوهُم في المَغارَةِ الّتي اختَبأوا فيها، ووضَعوا حِجارَةً كبيرَةً علَى فمِ المَغارةِ حتَّى إلَى هذا اليومِ عَينِهِ.

وأخَذَ يَشوعُ مَقّيدَةَ في ذلكَ اليومِ وضَرَبَها بحَدِّ السَّيفِ، وحَرَّمَ مَلِكَها هو وكُلَّ نَفسٍ بها. لَمْ يُبقِ شارِدًا، وفَعَلَ بمَلِكِ مَقّيدَةَ كما فعَلَ بمَلِكِ أريحا.

فضَرَبَ يَشوعُ كُلَّ أرضِ الجَبَلِ والجَنوبِ والسَّهلِ والسُّفوحِ وكُلَّ مُلوكِها. لَمْ يُبقِ شارِدًا، بل حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كما أمَرَ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ. فضَرَبَهُمْ يَشوعُ مِنْ قادَشَ بَرنيعَ إلَى غَزَّةَ وجميعَ أرض جوشَنَ إلَى جِبعونَ. وأخَذَ يَشوعُ جميعَ أولئكَ المُلوكِ وأرضِهِمْ دُفعَةً واحِدَةً، لأنَّ الرَّبَّ إلهَ إسرائيلَ حارَبَ عن إسرائيلَ. ثُمَّ رَجَعَ يَشوعُ وجميعُ إسرائيلَ معهُ إلَى المَحَلَّةِ إلَى الجِلجالِ.

فلَمّا سمِعَ يابينُ مَلِكُ حاصورَ، أرسَلَ إلَى يوبابَ مَلِكِ مادونَ، وإلَى

مَلِكِ شِمرونَ، وإلَى مَلِكِ أكشافَ، وإلَى المُلوكِ الّذينَ إلَى الشِّمالِ في الجَبَلِ، وفي العَرَبَةِ جَنوبيَّ كِنَّروتَ، وفي السَّهلِ، وفي مُرتَفَعاتِ دورَ غَربًا، الكَنعانيّينَ في الشَّرقِ والغَربِ، والأموريّينَ والحِثّيّينَ والفِرِزّيّينَ واليَبوسيّينَ في الجَبَلِ، والحِوّيّينَ تحتَ حَرمونَ في أرضِ المِصفاةِ. فخرجوا هُم وكُلُّ جُيوشِهِمْ معهُمْ، شَعبًا غَفيرًا كالرَّملِ الّذي علَى شاطِئِ البحرِ في الكَثرَةِ، بخَيلٍ ومَركَباتٍ كثيرَةٍ جِدًّا. فاجتَمَعَ جميعُ هؤُلاءِ المُلوكِ بميعادٍ وجاءوا ونَزَلوا مَعًا علَى مياهِ مَيرومَ لكَيْ يُحارِبوا إسرائيلَ.

فقالَ الرَّبُّ ليَشوعَ: «لا تخَفهُمْ، لأنّي غَدًا في مِثلِ هذا الوقتِ أدفَعُهُمْ جميعًا قَتلَى أمامَ إسرائيلَ، فتُعَرقِبُ (تقطع أوتار ساقه فيصير عاجزًا) خَيلهُمْ، وتُحرِقُ مَركَباتِهِمْ بالنّارِ». فجاءَ يَشوعُ وجميعُ رِجالِ الحَربِ معهُ علَيهِمْ عِندَ مياهِ مَيرومَ بَغتَةً وسَقَطوا علَيهِمْ. فدَفَعَهُمُ الرَّبُّ بيَدِ إسرائيلَ، فضَرَبوهُم وطَرَدوهُم إلَى صيدونَ العظيمَةِ، وإلَى مِسرَفوتَ مايِمَ، وإلَى بُقعَةِ مِصفاةَ شَرقًا. فضَرَبوهُم حتَّى لَمْ يَبقَ لهُمْ شارِدٌ. ففَعَلَ يَشوعُ بهِمْ كما قالَ لهُ الرَّبُّ. عَرقَبَ خَيلهُمْ، وأحرَقَ مَركَباتِهِمْ بالنّارِ.

ثُمَّ رَجَعَ يَشوعُ في ذلكَ الوقتِ وأخَذَ حاصورَ وضَرَبَ مَلِكَها بالسَّيفِ، لأنَّ حاصورَ كانتْ قَبلًا رأسَ جميعِ تِلكَ المَمالِكِ. وضَرَبوا كُلَّ نَفسٍ بها بحَدِّ السَّيفِ. حَرَّموهُم، ولَمْ تبقَ نَسَمَةٌ، وأحرَقَ حاصورَ بالنّارِ.

فأخَذَ يَشوعُ كُلَّ مُدُنِ أولئكَ المُلوكِ وجميعَ مُلوكِها وضَرَبَهُمْ بحَدِّ السَّيفِ. حَرَّمَهُمْ كما أمَرَ موسَى عَبدُ الرَّبِّ. غَيرَ أنَّ المُدُنَ القائمَةَ علَى تِلالِها لَمْ يُحرِقها إسرائيلُ، ما عَدا حاصورَ وحدَها أحرَقَها يَشوعُ. وكُلُّ غَنيمَةِ تِلكَ المُدُنِ والبَهائمَ نَهَبَها بَنو إسرائيلَ لأنفُسِهِمْ. وأمّا الرِّجالُ فضَرَبوهُم جميعًا بحَدِّ السَّيفِ حتَّى أبادوهُم. لَمْ يُبقوا نَسَمَةً. كما أمَرَ

الرَّبُّ موسَى عَبدَهُ هكذا أمَرَ موسَى يَشوعَ، وهكذا فعَلَ يَشوعُ. لَمْ يُهمِلْ شَيئًا مِنْ كُلِّ ما أمَرَ بهِ الرَّبُّ موسَى.

فأخَذَ يَشوعُ كُلَّ الأرضِ حَسَبَ كُلِّ ما كلَّمَ بهِ الرَّبُّ موسَى، وأعطاها يَشوعُ مُلكًا لإسرائيلَ حَسَبَ فِرَقِهِمْ وأسباطِهِمْ. واستَراحَتِ الأرضُ مِنَ الحَربِ.

كل المدن القديمة التي هزمها يشوع وبنو إسرائيل، لم يعد التاريخ يذكرها. لكن بالنسبة للإسرائيليين كان كل اسم منها يمثل لهم خطرًا، ومشقة، وخسارة، وصراع. الآن أوشك وعد الله لإبراهيم في القديم، بأن يعطي لنسله أرض الميعاد، أن يتحقق. لقد بدأت تتشكل ملامح أمة جديدة تمتلك أجزاء كبيرة من أرض الميعاد ولا يزال أمامها الكثير للامتلاك. فوجه قائدهم يشوع بن نون خطابًا إلى هذه الأمة، تحمل كلماته كثيرًا من التشجيع والحث على مواجهة التحديات.

وكانَ غِبَّ (بعد) أيّامٍ كثيرَةٍ، بَعدَما أراحَ الرَّبُّ إسرائيلَ مِنْ أعدائِهِمْ حَوالَيهِمْ، أنَّ يَشوعَ شاخ. تقَدَّمَ في الأيّامِ. فدَعا يَشوعُ جميعَ إسرائيلَ وشُيوخَهُ ورؤَساءَهُ وقُضاتَهُ وعُرَفاءَهُ وقالَ لهُمْ: «أنا قد شِختُ. تقَدَّمتُ في الأيّامِ. وأنتُمْ قد رأيتُمْ كُلَّ ما عَمِلَ الرَّبُّ إلهُكُمْ بجميع أولئكَ الشُّعوبِ مِنْ أجلِكُمْ، لأنَّ الرَّبَّ إلهَكُمْ هو المُحارِبُ عنكُمْ. أُنظُروا. قد قَسَمتُ لكُمْ بالقُرعَةِ هؤُلاءِ الشُّعوبَ الباقينَ مُلكًا حَسَبَ أسباطِكُمْ، مِنَ الأُردُنِّ وجميعِ الشُّعوبِ الّتي قَرَضتُها (أهلكتها)، والبحرِ العظيم نَحوَ غُروبِ الشَّمسِ. والرَّبُّ إلهُكُمْ هو يَنفيهِمْ مِنْ أمامِكُمْ ويَطرُدُهُمْ مِنْ قُدّامِكُمْ، فتملِكونَ أرضَهُمْ كما كلَّمَكُمُ الرَّبُّ إلهُكُمْ.

وها أنا اليومَ ذاهِبٌ في طريقِ الأرضِ كُلِّها (سأموت). وتَعلَمونَ بكُلِّ

قُلوبكُمْ وكُلِّ أنفُسِكُمْ أنَّهُ لَمْ تسقُطْ كلمَةٌ واحِدَةٌ مِنْ جميعِ الكلام الصّالِحِ الّذي تكلَّمَ بهِ الرَّبُّ عنكُمْ. الكُلُّ صارَ لكُمْ. لَمْ تسقُطْ مِنهُ كلِمَةٌ واحِدَةٌ. ويكونُ كما أنَّهُ أتَى علَيكُمْ كُلُّ الكلامِ الصّالِحِ الّذي تكلَّمَ بهِ الرَّبُّ إلهُكُمْ عنكُمْ، كذلكَ يَجلِبُ علَيكُمُ الرَّبُّ كُلَّ الكلام الرَّديءِ حتَّى يُبيدَكُمْ عن هذِهِ الأرض الصّالِحَةِ الّتي أعطاكُمُ الرَّبُّ إلهُكُمْ. حينَما تتعَدَّوْنَ عَهدَ الرَّبِّ إلهِكُمُ الّذي أمَرَكُمْ بهِ وتَسيرونَ وتَعبُدونَ آلِهَةً أُخرَى وتَسجُدونَ لها، يَحمَى غَضَبُ الرَّبِّ علَيكُمْ فتبيدونَ سريعًا عن الأرضِ الصّالِحَةِ الّتي أعطاكُمْ».

وجَمَعَ يَشوعُ جميعَ أسباطِ إسرائيلَ إلَى شَكيمَ. ودَعا شُيوخَ إسرائيلَ ورؤَساءَهُمْ وقُضاتَهُمْ وعُرَفاءَهُمْ فمَثَلوا أمامَ الرَّبِّ.

وقالَ يَشوعُ لجميعِ الشَّعبِ: «هكذا قالَ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ: آباؤُكُمْ سكَنوا في عَبر النَّهرِ منذُ الدَّهرِ (القديم). تارَحُ أبو إبراهيمَ وأبو ناحورَ، وعَبَدوا آلِهَةً أُخرَى. فأخَذتُ إبراهيمَ أباكُمْ مِنْ عَبرِ النَّهرِ وسِرتُ بهِ في كُلِّ أرضِ كنعانَ، وأكثَرتُ نَسلهُ وأعطَيتُهُ إسحاقَ. وأعطَيتُ إسحاقَ يعقوبَ وعيسوَ، وأعطَيتُ عيسوَ جَبَلَ سعيرَ ليَملِكَهُ. وأمّا يعقوبُ وبَنوهُ فنَزَلوا إلَى مِصرَ.

وأرسَلتُ موسَى وهارونَ وضَرَبتُ مِصرَ حَسَبَ ما فعَلتُ في وسَطِها، ثُمَّ أخرَجتُكُمْ. فأخرَجتُ آباءَكُمْ مِنْ مِصرَ، ودَخَلتُمُ البحرَ وتَبِعَ المِصريّونَ آباءَكُمْ بمَركَباتٍ وفُرسانٍ إلَى بحرِ سوفٍ. فصَرَخوا إلَى الرَّبِّ، فجَعَلَ ظَلامًا بَينَكُمْ وبَينَ المِصريّينَ، وجَلَبَ علَيهِمِ البحرَ فغَطّاهُمْ. ورأتْ أعيُنُكُمْ ما فعَلتُ في مِصرَ، وأقَمتُمْ في القَفرِ أيّامًا كثيرَةً.

ثُمَّ أتَيتُ بكُمْ إلَى أرضِ الأموريّينَ السّاكِنينَ في عَبرِ الأُردُنِّ فحارَبوكُمْ، ودَفَعتُهُمْ بيَدِكُمْ فمَلكتُمْ أرضَهُمْ وأهلكتُهُمْ مِنْ أمامِكُمْ.

وقامَ بالاقُ بنُ صِفّورَ مَلِكُ موآبَ وحارَبَ إسرائيلَ، وأرسَلَ ودَعا بلعامَ بنَ بَعورَ لكَيْ يَلعَنَكُمْ. ولَمْ أشأْ أنْ أسمَعَ لبَلعامَ، فبارَكَكُمْ بَرَكَةً وأنقَذتُكُمْ مِنْ يَدِهِ.

ثُمَّ عَبَرتُمُ الأُردُنَّ وأتَيتُمْ إلَى أريحا. فحارَبَكُمْ أصحابُ أريحا: الأموريّونَ والفِرِزّيّونَ والكَنعانيّونَ والحِثّيّونَ والجِرجاشيّونَ والحِوّيّونَ واليَبوسيّونَ، فدَفَعتُهُمْ بيَدِكُمْ. وأرسَلتُ قُدّامَكُمُ الزَّنابيرَ وطَرَدتُهُمْ مِنْ أمامِكُمْ، أيْ مَلِكَيِ الأموريّينَ، لا بسَيفِكَ ولا بقَوْسِكَ. وأعطَيتُكُمْ أرضًا لَمْ تتعَبوا علَيها، ومُدُنًا لَمْ تبنوها وتَسكُنونَ بها، ومِنْ كُرومٍ وزَيتونٍ لَمْ تغرِسوها تأكُلونَ.

فالآنَ اخشَوْا الرَّبَّ واعبُدوهُ بكَمالٍ وأمانَةٍ، وانزِعوا الآلِهَةَ الّذينَ عَبَدَهُمْ آباؤُكُمْ في عَبرِ النَّهرِ وفي مِصرَ، واعبُدوا الرَّبَّ. وإنْ ساءَ في أعيُنِكُمْ أنْ تعبُدوا الرَّبَّ، فاختاروا لأنفُسِكُمُ اليومَ مَنْ تعبُدونَ: إنْ كانَ الآلِهَةَ الّذينَ عَبَدَهُمْ آباؤُكُمُ الّذينَ في عَبرِ النَّهرِ، وإنْ كانَ آلِهَةَ الأموريّينَ الّذينَ أنتُمْ ساكِنونَ في أرضِهِمْ. وأمّا أنا وبَيتي فنَعبُدُ الرَّبَّ».

فقالَ الشَّعبُ ليَشوعَ: «الرَّبَّ إلهَنا نَعبُدُ ولِصوتِهِ نَسمَعُ». وقَطَعَ يَشوعُ عَهدًا للشَّعبِ في ذلكَ اليومِ، وجَعَلَ لهُمْ فريضَةً وحُكمًا في شَكيمَ. وكتَبَ يَشوعُ هذا الكلامَ في سِفرِ شَريعَةِ اللهِ. وأخَذَ حَجَرًا كبيرًا ونَصَبَهُ هناكَ تحتَ البَلّوطَةِ الّتي عِندَ مَقدِسِ الرَّبِّ.

ثُمَّ قالَ يَشوعُ لجميعِ الشَّعبِ: «إنَّ هذا الحَجَرَ يكونُ شاهِدًا علَينا، لأنَّهُ قد سمِعَ كُلَّ كلامِ الرَّبِّ الّذي كلَّمَنا بهِ، فيكونُ شاهِدًا علَيكُمْ لئَلّا تجحَدوا إلهَكُمْ (تنكروه)». ثُمَّ صَرَفَ يَشوعُ الشَّعبَ كُلَّ واحِدٍ إلَى مُلكِهِ.

وكانَ بَعدَ هذا الكلامِ أَنَّهُ ماتَ يَشوعُ بنُ نونٍ عَبدُ الرَّبِّ ابنَ مِئَةٍ وعَشرِ سِنينَ. فدَفَنوهُ في تُخمِ مُلكِهِ، في تِمنَةَ سارَحَ الّتي في جَبَل أفرايِمَ شِماليَّ جَبَلِ جاعَشَ. وعَبَدَ إسرائيلُ الرَّبَّ كُلَّ أيّامِ يَشوعَ، وكُلَّ أيّامِ الشُّيوخِ الّذينَ طالَتْ أيّامُهُمْ بَعدَ يَشوعَ والّذينَ عَرَفوا كُلَّ عَمَلِ الرَّبِّ الّذي عَمِلهُ لإسرائيلَ.

٨

الدائرة المفرغة

وعَبَدَ الشَّعبُ الرَّبَّ كُلَّ أيّامِ يَشوعَ، وكُلَّ أيّامِ الشُّيوخِ الّذينَ طالَتْ أيّامُهُمْ بَعدَ يَشوعَ الّذينَ رأوا كُلَّ عَمَلِ الرَّبِّ العظيمِ الّذي عَمِلَ لإسرائيلَ.

وماتَ يَشوعُ بنُ نونَ عَبدُ الرَّبِّ ابنَ مِئَةٍ وعَشرَ سِنينَ. فدَفَنوهُ في تُخمِ مُلكِهِ في تِمنَةَ حارَسَ في جَبَلِ أفرايِمَ، شِماليَّ جَبَلِ جاعَشَ.

وكُلُّ ذلكَ الجيلِ أيضًا انضَمَّ إلَى آبائِهِ، وقامَ بَعدَهُمْ جيلٌ آخَرُ لَمْ يَعرِفِ الرَّبَّ، ولا العَمَلَ الّذي عَمِلَ لإسرائيلَ.

وفَعَلَ بَنو إسرائيلَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ وعَبَدوا البَعليمَ.[1] وتَرَكوا الرَّبَّ إلهَ آبائِهِمِ الّذي أخرَجَهُمْ مِنْ أرضِ مِصرَ، وساروا وراءَ آلِهَةٍ أُخرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعوبِ الّذينَ حَوْلَهُمْ، وسَجَدوا لها وأغاظوا الرَّبَّ. تَرَكوا الرَّبَّ وعَبَدوا البَعلَ وعَشتاروثَ. فحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَى إسرائيلَ، فدَفَعَهُمْ بأيدي ناهِبينَ نَهَبوهُم، وباعَهُمْ بيَدِ أعدائِهِمْ حَوْلَهُمْ،

---

١ بعليم، بعل، عشتاروث، سواري: آلهة كاذبة وأصنام من الثقافات الوثنية القديمة.

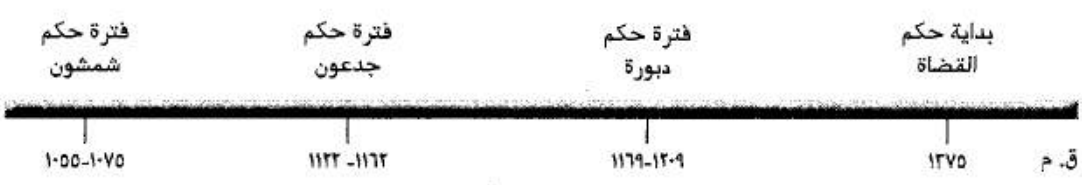

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

ولَمْ يَقدِروا بَعدُ علَى الوُقوفِ أمامَ أعدائِهِمْ. حَيثُما خرجوا كانتْ يَدُ الرَّبِّ علَيهِمْ للشَّرِّ، كما تكلَّمَ الرَّبُّ وكما أقسَمَ الرَّبُّ لهُمْ. فضاقَ بِهِمُ الأمرُ جِدًّا.

وأقامَ الرَّبُّ قُضاةً فخَلَّصوهُم مِنْ يَدِ ناهِبيهِمْ. ولِقُضاتِهِمْ أيضًا لَمْ يَسمَعوا، بل زَنَوْا (خانوا الله) وراءَ آلِهَةٍ أُخرَى وسَجَدوا لها. حادوا (ابتعدوا) سريعًا عن الطريقِ الّتي سارَ بها آباؤُهُمْ لسَمع وصايا الرَّبِّ، لَمْ يَفعَلوا هكذا. وحينَما أقامَ الرَّبُّ لهُمْ قُضاةً، كانَ الرَّبُّ مع القاضي، وخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أعدائِهِمْ كُلَّ أيّامِ القاضي، لأنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أجلِ أنينِهِمْ بسَبَبِ مُضايِقيهِمْ وزاحِميهِمْ. وعِندَ موتِ القاضي كانوا يَرجِعونَ ويَفسُدونَ أكثَرَ مِنْ آبائِهِمْ، بالذهابِ وراءَ آلِهَةٍ أُخرَى ليَعبُدوها ويَسجُدوا لها. لَمْ يَكُفّوا عن أفعالِهِمْ وطريقِهِمْ القاسيَةِ.

فحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَى إسرائيلَ وقالَ: «مِنْ أجلِ أنَّ هذا الشَّعبَ قد تعَدَّوْا عَهديَ الّذي أوصَيتُ بهِ آباءَهُمْ ولَمْ يَسمَعوا لصوتي، فأنا أيضًا لا أعودُ أطرُدُ إنسانًا مِنْ أمامِهِمْ مِنَ الأمَمِ الّذينَ ترَكَهُمْ يَشوعُ عِندَ موتِهِ لكَيْ أمتَحِنَ بهِمْ إسرائيلَ: أيَحفَظونَ طريقَ الرَّبِّ ليَسلُكوا بها كما حَفِظَها آباؤُهُمْ، أم لا».

فعَمِلَ بَنو إسرائيلَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ، ونَسوا الرَّبَّ إلهَهُمْ وعَبَدوا البَعليمَ والسَّواريَ. فحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَى إسرائيلَ، فباعَهُمْ بيَدِ كوشانَ رِشَعتايِمَ مَلِكِ أرامِ النَّهرَينِ. فعَبَدَ بَنو إسرائيلَ كوشانَ رِشَعتايِمَ ثَمانيَ سِنينَ. وصَرَخَ بَنو إسرائيلَ إلَى الرَّبِّ، فأقامَ الرَّبُّ مُخَلِّصًا لبَني إسرائيلَ فخَلَّصَهُمْ، عُثنيئيلَ بنَ قَنازَ أخا كالِبَ الأصغَرَ. فكانَ علَيهِ روحُ الرَّبِّ[٢]، وقَضَى لإسرائيلَ. وخرجَ للحَربِ فدَفَعَ الرَّبُّ

---

٢ روح الرب: يشير هذا المصطلح في العهد القديم إلى حضور غير ملموس لله ولكل صفاته. ويستخدم هذا التعبير لبيان كيف أن الله يؤهل أشخاصًا معينين لكي يستطيعوا أن يتمموا مهامًا خاصة دعاهم الله إليها.

لِيَدِهِ كوشانَ رِشَعتايِمَ مَلِكَ أرامَ، واعتَزَّتْ يَدُهُ (ساد وقوي) علَى كوشانِ رِشَعتايِمَ. واستَراحَتِ الأرضُ أربَعينَ سنَةً. وماتَ عُثنيئيلُ بنُ قَنازَ.

وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، فتركهم الرب ليقعوا في يد عجلون ملك موآب، الذي اتفق مع زعماء البلاد المجاورة له وحارب بني إسرائيل، وانتصر عليهم واحتل بلادهم وعاملهم بالقسوة والذل لمدة ١٨ عامًا. فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب لينقذهم، فأرسل الرب لهم قاضيًا اسمه إهود ليخلصهم. وقام إهود بعمل خطة ماكرة استطاع بعدها أن يقتل عجلون ملك موآب. وبموت عجلون تمت هزيمة جيشه بسهولة، وبعدها عاش بنو إسرائيل في سلام لمدة ٨٠ سنة.

وعادَ بَنو إسرائيلَ يَعمَلونَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ بَعدَ موتِ إهودَ، فباعَهُمُ الرَّبُّ بيَدِ يابينَ مَلِكِ كنعانَ الّذي مَلَكَ في حاصورَ. ورَئيسُ جَيشِهِ سيسَرا، وهو ساكِنٌ في حَروشَةِ الأُمَمِ. فصَرَخَ بَنو إسرائيلَ إلَى الرَّبِّ، لأنَّهُ كانَ لهُ تِسعُ مِئَةِ مَركَبَةٍ (عربة حربية) مِنْ حَديدٍ، وهو ضايَقَ بَني إسرائيلَ بشِدَّةٍ، عِشرينَ سنَةً.

ودَبورَةُ امرأةٌ نَبيَّةٌ زَوْجَةُ لَفيدوتَ، هي قاضيَةُ إسرائيلَ في ذلكَ الوقتِ. وهي جالِسَةٌ تحتَ نَخلَةِ دَبورَةَ بَينَ الرّامَةِ وبَيتِ إيلَ في جَبَلِ أفرايِمَ. وكانَ بَنو إسرائيلَ يَصعَدونَ إليها للقَضاءِ. فأرسَلَتْ ودَعَتْ باراقَ بنَ أبينوعَمَ مِنْ قادَشِ نَفتالي، وقالَتْ لهُ: «ألَمْ يأمُرِ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ: اِذهَبْ وازحَفْ إلَى جَبَلِ تابورَ، وخُذْ معكَ عَشرَةَ آلافِ رَجُلٍ مِنْ بَني نَفتالي ومِنْ بَني زَبولونَ، فأجذُبَ إلَيكَ، إلَى نهرِ قيشونَ سيسَرا رَئيسَ جَيشِ يابينَ بمَركَباتِهِ وجُمهورِهِ وأدفَعَهُ ليَدِكَ؟» فقالَ لها باراقُ: «إنْ ذَهَبتِ مَعي أذهَبْ، وإنْ لَمْ تذهَبي مَعي فلا أذهَبُ».

فقالَتْ: «إنّي أذهَبُ معكَ، غَيرَ أنَّهُ لا يكونُ لكَ فخرٌ في الطريقِ الّتي أنتَ سائرٌ فيها. لأنَّ الرَّبَّ يَبيعُ (يُسلّم) سيسَرا بيَدِ امرأةٍ». فقامَتْ دَبورَةُ وذَهَبَتْ مع باراقَ إلَى قادَشَ.

ودَعا باراقُ زَبولونَ ونَفتاليَ إلَى قادَشَ، وصَعِدَ ومَعَهُ عشَرَةُ آلافِ رَجُلٍ. وصَعِدَتْ دَبورَةُ معهُ. وحابِرُ القَينيُّ انفَرَدَ مِنْ قاينَ، مِنْ بَني حوبابَ حَمي موسَى، وخَيَّمَ حتَّى إلَى بَلّوطَةٍ في صَعَنايِمَ الّتي عِندَ قادَشَ.

وأخبَروا سيسَرا بأنَّهُ قد صَعِدَ باراقُ بنُ أبينوعَمَ إلَى جَبَلِ تابورَ. فدَعا سيسَرا جميعَ مَركَباتِهِ، تِسعَ مِئَةِ مَركَبَةٍ مِنْ حَديدٍ، وجميعَ الشَّعبِ الّذي معهُ مِنْ حَروشَةِ الأمَمِ إلَى نهرِ قيشونَ.

فقالَتْ دَبورَةُ لباراقَ: «قُمْ، لأنَّ هذا هو اليومُ الّذي دَفَعَ فيهِ الرَّبُّ سيسَرا ليَدِكَ. ألَمْ يَخرُج الرَّبُّ قُدّامَكَ؟» فنَزَلَ باراقُ مِنْ جَبَلِ تابورَ ووراءَهُ عَشرَةُ آلافِ رَجُلٍ. فأزعَجَ الرَّبُّ سيسَرا وكُلَّ المَركَباتِ وكُلَّ الجَيشِ بحَدِّ السَّيفِ أمامَ باراقَ. فنَزَلَ سيسَرا عن المَركَبَةِ وهَرَبَ علَى رِجلَيهِ.

وتَبِعَ باراقُ المَركَباتِ والجَيشَ إلَى حَروشَةِ الأُمَمِ. وسَقَطَ كُلُّ جَيشِ سيسَرا بحَدِّ السَّيفِ. لَمْ يَبقَ ولا واحِدٌ. وأمّا سيسَرا فهَرَبَ علَى رِجلَيهِ إلَى خَيمَةِ ياعيلَ امرأةِ حابِرَ القَينيِّ، لأنَّهُ كانَ صُلحٌ بَينَ يابينَ مَلِكِ حاصورَ وبَيتِ حابِرَ القَينيِّ.

فخرجَتْ ياعيلُ لاستِقبالِ سيسَرا وقالَتْ لهُ: «مِلْ يا سيِّدي، مِلْ إلَيَّ. لا تخَفْ». فمالَ إليها إلَى الخَيمَةِ وغَطَّتهُ باللِّحافِ. فقالَ لها: «اسقيني قَليلَ ماءٍ لأنّي قد عَطِشتُ». ففَتَحَتْ وطَبَ اللَّبَنِ (قربة من الجلد لحفظ اللبن) وأسقَتهُ ثُمَّ غَطَّتهُ. فقالَ لها: «قِفي ببابِ الخَيمَةِ، ويكونُ إذا جاءَ أحَدٌ وسألكِ: أهنا رَجُلٌ؟ أنَّكِ تقولينَ لا».

فأخَذَتْ ياعيلُ امرأةُ حابِرَ وتَدَ الخَيمَةِ وجَعَلَتِ الميتَدَةَ (المطرقة) في يَدِها، وقارَتْ (هشت على أطراف أصابعها) إليهِ وضَرَبَتِ الوَتَدَ في صُدغِهِ (جانب وجهه) فنَفَذَ إلَى الأرضِ، وهو مُتثقِّلٌ في النَّوْمِ ومُتعَبٌ، فماتَ.

وإذا بباراقَ يُطارِدُ سيسَرا، فخرجَتْ ياعيلُ لاستِقبالِهِ وقالَتْ لهُ: «تعالَ فأُريَكَ الرَّجُلَ الّذي أنتَ طالِبُهُ». فجاءَ إليها وإذا سيسَرا ساقِطٌ مَيتًا والوَتَدُ في صُدغِهِ.

فأذَلَّ اللهُ في ذلكَ اليومِ يابينَ مَلِكَ كنعانَ أمامَ بَني إسرائيلَ. وأخَذَتْ يَدُ بَني إسرائيلَ تتَزايَدُ وتَقسو علَى يابينَ مَلِكِ كنعانَ حتَّى قَرَضوا يابينَ مَلِكَ كنعانَ.

بعد هذا الانتصار عاش بنو إسرائيل في سلام لمدة ٤٠ سنة. ولم يظهر طوال هذه المدة قائد قوي يستطيع أن يقودهم ويوحدهم. فبدأ الناس يبتعدون عن الرب الإله، ويتشبهون بالشعوب المجاورة في عبادتهم الوثنية، وبذلك فقدوا حماية الرب لهم ووقعوا في قبضة أعدائهم مرة أخرى.

وعَمِلَ بَنو إسرائيلَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ، فدَفَعَهُمُ (سلمهم) الرَّبُّ ليَدِ مِديانَ سبعَ سِنينَ. فاعتَزَّتْ (قويت) يَدُ مِديانَ علَى إسرائيلَ. بسَبَبِ المِديانيّينَ عَمِلَ بَنو إسرائيلَ لأنفُسِهِم الكُهوفَ الّتي في الجِبالِ والمَغايِرَ والحُصونَ. وإذا زَرَعَ إسرائيلُ، كانَ يَصعَدُ المِديانيّونَ والعَمالِقَةُ وبَنو المَشرِقِ، يَصعَدونَ علَيهِمْ، ويَنزِلونَ علَيهِمْ (يهاجمونهم) ويُتلِفونَ غَلَّةَ الأرضِ إلَى مَجيئكَ (كل الطريق) إلَى غَزَّةَ، ولا يترُكونَ لإسرائيلَ قوتَ الحياةِ، ولا غَنَمًا ولا بَقَرًا ولا حَميرًا. لأنَّهُمْ كانوا يَصعَدونَ بمَواشيهِمْ وخيامِهِمْ ويَجيئونَ كالجَرادِ في الكَثرَةِ وليس لهُمْ

ولِجمالِهِمْ عَدَدٌ، ودَخلوا الأرضَ لكَيْ يُخرِبوها. فذَلَّ إسرائيلُ جِدًّا مِنْ قِبَلِ المِديانيّينَ. وصَرَخَ بَنو إسرائيلَ إلَى الرَّبِّ.

وكانَ لَمّا صَرَخَ بَنو إسرائيلَ إلَى الرَّبِّ بسَبَبِ المِديانيّينَ أنَّ الرَّبَّ أرسَلَ رَجُلًا نَبيًّا إلَى بَني إسرائيلَ، فقالَ لهُمْ: «هكذا قالَ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ: إنّي قد أصعَدتُكُمْ مِنْ مِصرَ وأخرَجتُكُمْ مِنْ بَيتِ العُبوديَّةِ، وأنقَذتُكُمْ مِنْ يَدِ المِصريّينَ ومِنْ يَدِ جميع مُضايقيكُمْ، وطَرَدتُهُمْ مِنْ أمامِكُمْ وأعطَيتُكُمْ أرضَهُمْ. وقُلتُ لكُمْ: أنا الرَّبُّ إلهُكُمْ. لا تخافوا آلِهَةَ الأموريّينَ الّذينَ أنتُمْ ساكِنونَ أرضَهُمْ. ولَمْ تسمَعوا لصوتي».

عندما اشتد الجوع والعنف على بني إسرائيل، صرخوا إلى الرب لينقذهم، لأن الرب سبق وأخبرهم أن مشكلتهم ليست في نقص الطعام ولا نقص السلاح وإنما في ابتعادهم عنه. فاختار الرب لهم منقذًا، وبالرغم من خوف جدعون وعدم ثقته في نفسه، إلا أن الله كان يبحث عن شخص مُخلِص وليس عن محارب قوي.

وأتَى مَلاكُ الرَّبِّ وجَلَسَ تحتَ البُطمَةِ (نوع من الشجر) الّتي في عَفرَةَ الّتي ليوآشَ الأبيعَزَريِّ. وابنُهُ جِدعونُ كانَ يَخبِطُ حِنطَةً (يخرج الحبوب من السنابل) في المِعصَرَةِ لكَيْ يُهَرِّبَها مِنَ المِديانيّينَ. فظَهَرَ لهُ مَلاكُ الرَّبِّ وقالَ لهُ: «الرَّبُّ معكَ يا جَبّارَ البأسِ».

فقالَ لهُ جِدعونُ: «أسألُكَ يا سيِّدي، إذا كانَ الرَّبُّ معنا فلماذا أصابَتنا كُلُّ هذِهِ؟ وأين كُلُّ عَجائبِهِ الّتي أخبَرَنا بها آباؤُنا قائلينَ: ألَمْ يُصعِدنا الرَّبُّ مِنْ مِصرَ؟ والآنَ قد رَفَضَنا الرَّبُّ وجَعَلَنا في كفِّ مِديانَ».

فالتَفَتَ إليهِ الرَّبُّ وقالَ: «اذهَبْ بقوَّتِكَ هذِهِ وخَلِّصْ إسرائيلَ مِنْ

كفٍّ مِديانَ. أما أرسَلتُكَ؟» فقالَ لهُ: «أسألُكَ يا سيِّدي، بماذا أُخَلِّصُ إسرائيلَ؟ ها عَشيرَتي هي الذُّلَّى (الأضعف) في مَنَسَّى، وأنا الأصغَرُ في بَيتِ أبي».

فقالَ لهُ الرَّبُّ: «إنّي أكونُ معكَ، وسَتَضرِبُ المِديانيّينَ كرَجُلٍ واحِدٍ».

فقالَ لهُ: «إنْ كُنتُ قد وجَدتُ نِعمَةً في عَينَيكَ فاصنَعْ لي عَلامَةً أنَّكَ أنتَ تُكلِّمُني. لا تبرَحْ مِنْ ههنا حتَّى آتيَ إلَيكَ وأُخرِجَ تقدِمَتي وأضَعَها أمامَكَ». فقالَ: «إنّي أبقَى حتَّى ترجِعَ».

فدَخَلَ جِدعونُ وعَمِلَ جَديَ مِعزًى وإيفَةَ دَقيقٍ فطيرًا. أمّا اللَّحمُ فوَضَعَهُ في سلٍّ، وأمّا المَرَقُ فوَضَعَهُ في قِدرٍ، وخرجَ بها إليهِ إلَى تحتِ البُطمَةِ وقَدَّمَها.

فقالَ لهُ مَلاكُ اللهِ: «خُذِ اللَّحمَ والفَطيرَ وضَعهُما علَى تِلكَ الصَّخرَةِ واسكُبِ المَرَقَ». ففَعَلَ كذلكَ. فمَدَّ مَلاكُ الرَّبِّ طَرَفَ العُكّازِ الّذي بيَدِهِ ومَسَّ اللَّحمَ والفَطيرَ، فصَعِدَتْ نارٌ مِنَ الصَّخرَةِ وأكلَتِ اللَّحمَ والفَطيرَ. وذَهَبَ مَلاكُ الرَّبِّ عن عَينَيهِ. فرأى جِدعونُ أنَّهُ مَلاكُ الرَّبِّ، فقالَ جِدعونُ: «آهِ يا سيِّدي الرَّبَّ! لأنّي قد رأيتُ مَلاكَ الرَّبِّ وجهًا لوَجهٍ».

فقالَ لهُ الرَّبُّ: «السَّلامُ لكَ. لا تخَفْ. لا تموتُ». فبَنَى جِدعونُ هناكَ مَذبَحًا للرَّبِّ ودَعاهُ «يَهوَهَ شَلومَ». إلَى هذا اليومِ لَمْ يَزَلْ في عَفرَةِ الأبيعَزَريّينَ.

واجتَمَعَ جميعُ المِديانيّينَ والعَمالِقَةِ وبَني المَشرِقِ مَعًا وعَبَروا ونَزَلوا في وادي يِزرَعيلَ. ولَبِسَ (حل عليه) روحُ الرَّبِّ جِدعونَ فضَرَبَ بالبوقِ، فاجتَمَعَ أبيعَزَرُ وراءَهُ. وأرسَلَ رُسُلًا إلَى جميعِ مَنَسَّى، فاجتَمَعَ

هو أيضًا وراءَهُ، وأرسَلَ رُسُلًا إلَى أشيرَ وزَبولونَ ونَفتالي فصَعِدوا للِقائِهِمْ.

وقالَ جِدعونُ للهِ: «إنْ كُنتَ تُخَلِّصُ بيَدي إسرائيلَ كما تكلَّمتَ، فها إنّي واضِعٌ جَزَّةَ الصّوفِ (الصوف المأخوذ من الغنم) في البَيدَرِ (الجرن)، فإنْ كانَ طَلٌّ (ندى) علَى الجَزَّةِ وحدَها، وجَفافٌ علَى الأرضِ كُلِّها، عَلِمتُ أنَّكَ تُخَلِّصُ بيَدي إسرائيلَ كما تكلَّمتَ». وكانَ كذلكَ. فبَكَّرَ في الغَدِ وضَغَطَ الجَزَّةَ وعَصَرَ طَلًّا مِنَ الجَزَّةِ، مِلءَ قَصعَةٍ ماءً.

فقالَ جِدعونُ للهِ: «لا يَحمَ غَضَبُكَ علَيَّ فأتكلَّمَ هذِهِ المَرَّةَ فقط. أمتَحِنُ هذِهِ المَرَّةَ فقط بالجَزَّةِ. فليَكُنْ جَفافٌ في الجَزَّةِ وحدَها وعلَى كُلِّ الأرضِ ليَكُنْ طَلٌّ». ففَعَلَ اللهُ كذلكَ في تلكَ اللَّيلَةِ. فكانَ جَفافٌ في الجَزَّةِ وحدَها وعلَى الأرضِ كُلِّها كانَ طَلٌّ.

فبَكَّرَ يَرُبَّعلُ، أيْ جِدعونُ، وكُلُّ الشَّعبِ الّذي معهُ ونَزَلوا علَى عَينِ حَرودَ. وكانَ جَيشُ المِديانيّينَ شِماليَّهُمْ عِندَ تلِّ مورَةَ في الوادي. وقالَ الرَّبُّ لجِدعونَ: «إنَّ الشَّعبَ الّذي معكَ كثيرٌ علَيَّ لأدفَعَ المِديانيّينَ بيَدِهِمْ، لئَلّا يَفتَخِرَ علَيَّ إسرائيلُ قائلًا: يَدي خَلَّصَتني. والآنَ نادِ في آذانِ الشَّعبِ قائلًا: مَنْ كانَ خائفًا ومُرتَعِدًا فليَرجِعْ ويَنصَرِفْ مِنْ جَبَلِ جِلعادَ». فرَجَعَ مِنَ الشَّعبِ اثنانِ وعِشرونَ ألفًا. وبَقيَ عشَرَةُ آلافٍ.

وقالَ الرَّبُّ لجِدعونَ: «لَمْ يَزَلِ الشَّعبُ كثيرًا. اِنزِلْ بهِمْ إلَى الماءِ فأُنقّيَهُمْ (اختبرهم) لكَ هناكَ. ويكونُ أنَّ الّذي أقولُ لكَ عنهُ: هذا يَذهَبُ معكَ، فهو يَذهَبُ معكَ. وكُلُّ مَنْ أقولُ لكَ عنهُ: هذا لا يَذهَبُ معكَ فهو لا يَذهَبُ».

فنَزَلَ بالشَّعبِ إلَى الماءِ. وقالَ الرَّبُّ لجِدعونَ: «كُلُّ مَنْ يَلَغُ بلِسانِهِ (يشرب بطرف لسانه) مِنَ الماءِ كما يَلَغُ الكلبُ فأوقِفهُ وحدَهُ. وكذا كُلُّ مَنْ

جَثا علَى رُكبَتَيهِ للشُّربِ». وكانَ عَدَدُ الّذينَ ولَغوا بيَدِهِمْ إلَى فمِهِمْ ثَلاثَ مِئَةِ رَجُلٍ. وأمّا باقي الشَّعبِ جميعًا فجَثَوْا علَى رُكَبِهِمْ لشُربِ الماءِ.

فقالَ الرَّبُّ لجِدعونَ: «بالثَّلاثِ مِئَةِ الرَّجُلِ الّذينَ ولَغوا أُخَلِّصُكُمْ وأدفَعُ المِديانيّينَ ليَدِكَ. وأمّا سائرُ الشَّعبِ فليَذهَبوا كُلُّ واحِدٍ إلَى مَكانِهِ». فأخَذَ الشَّعبُ زادًا بيَدِهِمْ مع أبواقِهِمْ. وأرسَلَ سائرَ رِجالِ إسرائيلَ كُلَّ واحِدٍ إلَى خَيمَتِهِ، وأمسَكَ الثَّلاثَ مِئَةِ الرَّجُلِ. وكانتْ مَحَلَّةُ المِديانيّينَ تحتَهُ في الوادي.

وكانَ في تِلكَ اللَّيلَةِ أنَّ الرَّبَّ قالَ لهُ: «قُم انزِلْ إلَى المَحَلَّةِ، لأنّي قد دَفَعتُها إلَى يَدِكَ. وإنْ كُنتَ خائفًا مِنَ النُّزول، فانزِلْ أنتَ وفورَةُ غُلامُكَ (خادمك) إلَى المَحَلَّةِ، وتَسمَعُ ما يتَكلَّمونَ بهِ، وبَعدُ تتَشَدَّدُ يَداكَ وتَنزِلُ إلَى المَحَلَّةِ». فنَزَلَ هو وفورَةُ غُلامُهُ إلَى آخِرِ المُتَجَهِّزينَ (الجنود المستعدين للحرب) الّذينَ في المَحَلَّةِ. وكانَ المِديانيّونَ والعَمالِقَةُ وكُلُّ بَني المَشرِقِ حالّينَ في الوادي كالجَرادِ في الكَثرَةِ، وجِمالُهُمْ لا عَدَدَ لها كالرَّملِ الّذي علَى شاطِئِ البحرِ في الكَثرَةِ.

وجاءَ جِدعونُ فإذا رَجُلٌ يُخَبِّرُ صاحِبَهُ بحُلمٍ ويقولُ: «هوذا قد حَلُمتُ حُلمًا، وإذا رَغيفُ خُبزِ شَعيرٍ يتَدَحرَجُ في مَحَلَّةِ المِديانيّينَ، وجاءَ إلَى الخَيمَةِ وضَرَبَها فسقَطَتْ، وقَلَبَها إلَى فوقُ فسقَطَتِ الخَيمَةُ». فأجابَ صاحِبُهُ وقالَ: «ليس ذلكَ إلّا سيفَ جِدعونَ بنِ يوآشَ رَجُلِ إسرائيلَ. قد دَفَعَ اللهُ إلَى يَدِهِ المِديانيّينَ وكُلَّ الجَيشِ».

وكانَ لَمّا سمِعَ جِدعونُ خَبَرَ الحُلمِ وتَفسيرَهُ، أنَّهُ سجَدَ ورَجَعَ إلَى مَحَلَّةِ إسرائيلَ وقالَ: «قوموا لأنَّ الرَّبَّ قد دَفَعَ إلَى يَدِكُمْ جَيشَ المِديانيّينَ». وقَسَمَ الثَّلاثَ مِئَةِ الرَّجُلِ إلَى ثَلاثِ فِرَقٍ، وجَعَلَ أبواقًا

في أيديهِمْ كُلِّهِمْ، وجِرارًا (آنية من الفخار) فارِغَةً ومَصابيحَ في وسَطِ الجِرارِ.

وقالَ لهُمُ: «انظُروا إلَيَّ وافعَلوا كذلكَ. وها أنا آتٍ إلَى طَرَفِ المَحَلَّةِ، فيكونُ كما أفعَلُ أنَّكُمْ هكذا تفعَلونَ. ومَتَى ضَرَبتُ بالبوقِ أنا وكُلُّ الّذينَ مَعي، فاضرِبوا أنتُمْ أيضًا بالأبواقِ حَوْلَ كُلِّ المَحَلَّةِ، وقولوا: للرَّبِّ ولِجِدعونَ».

فجاءَ جِدعونُ والمِئَةُ الرَّجُلِ الّذينَ معهُ إلَى طَرَفِ المَحَلَّةِ في أوَّلِ الهَزيعِ الأوسَطِ (منتصف الليل)، وكانوا إذ ذاكَ قد أقاموا الحُرّاسَ، فضَرَبوا بالأبواقِ وكسَّروا الجِرارَ الّتي بأيديهِمْ. فضَرَبَتِ الفِرَقُ الثَّلاثُ بالأبواقِ وكسَّروا الجِرارَ، وأمسَكوا المَصابيحَ بأيديهِم اليُسرَى والأبواقَ بأيديهم اليُمنَى ليَضرِبوا بها، وصَرَخوا: «سيفٌ للرَّبِّ ولِجِدعونَ». ووقَفوا كلُّ واحِدٍ في مَكانِهِ حَوْلَ المَحَلَّةِ. فرَكَضَ كُلُّ الجَيشِ وصَرَخوا وهَرَبوا.

وضَرَبَ الثَّلاثُ المِئينَ (الثلاثمائة) بالأبواقِ، وجَعَلَ الرَّبُّ سيفَ كُلِّ واحِدٍ بصاحِبِهِ وبكُلِّ الجَيشِ (يقاتلون بعضهم بعضا). فهَرَبَ الجَيشُ إلَى بَيتِ شِطَّةَ، إلَى صَرَدَةَ حتَّى إلَى حافَةِ آبَلِ مَحولَةَ، إلَى طَبّاةَ. فاجتَمَعَ رِجالُ إسرائيلَ مِنْ نَفتالي ومِنْ أشيرَ ومِنْ كُلِّ مَنَسَّى وتَبِعوا المِديانيّينَ.

فأرسَلَ جِدعونُ رُسُلًا إلَى كُلِّ جَبَلِ أفرايِمَ قائلًا: «انزِلوا للِقاءِ المِديانيّينَ وخُذوا مِنهُمُ المياهَ إلَى بَيتِ بارَةَ والأُردُنِّ». فاجتَمَعَ كُلُّ رِجالِ أفرايِمَ وأخَذوا المياهَ إلَى بَيتِ بارَةَ والأُردُنِّ. وأمسَكوا أميرَيِ المِديانيّينَ غُرابًا وذِئبًا، وقَتَلوا غُرابًا علَى صَخرَةِ غُرابٍ، وأمّا ذِئبٌ فقَتَلوهُ في مِعصَرَةِ ذِئبٍ. وتَبِعوا المِديانيّينَ وأتَوْا برأسَيْ غُرابٍ وذِئبٍ إلَى جِدعونَ مِنْ عَبرِ الأُردُنِّ.

وذَلَّ مِديانُ أمامَ بَني إسرائيلَ (خضع لهم) ولَمْ يَعودوا يَرفَعونَ

رؤوسهُمْ. واستَراحَتِ الأرضُ أربَعينَ سنَةً في أيّامِ جِدعونَ. وكانَ بَعدَ موتِ جِدعونَ أنَّ بَني إسرائيلَ رَجَعوا وزَنَوْا وراءَ البَعليمِ، وجَعَلوا لهُمْ بَعَلَ بَريثَ إلهًا. ولَمْ يَذكُرْ بَنو إسرائيلَ الرَّبَّ إلهَهُمُ الّذي أنقَذَهُمْ مِنْ يَدِ جميعِ أعدائِهِمْ مِنْ حَوْلِهِمْ.

مرة أخرى عاد بنو إسرائيل ونسوا إلههم الحقيقي القدوس، وكنتيجة حتمية وقعوا في يد أعدائهم الذين تسلطوا عليهم. وحين كانوا يصرخون إلى الله في كل مرة كان يرسل لهم مخلِّصًا ينقذهم، وأخيرًا أرسل لهم ملاك الرب الذي أعلن لهم إعلانًا عجيبًا.

ثُمَّ عادَ بَنو إسرائيلَ يَعمَلونَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ، فدَفَعَهُمُ الرَّبُّ ليَدِ الفِلِسطينيّينَ أربَعينَ سنَةً.

وكانَ رَجُلٌ مِنْ صُرعَةَ مِنْ عَشيرَةِ الدّانيّينَ اسمُهُ مَنوحُ، وامرأتُهُ عاقِرٌ لَمْ تلِدْ. فتراءَى مَلاكُ الرَّبِّ للمَرأةِ وقالَ لها: «ها أنتِ عاقِرٌ لَمْ تلِدي، ولكنكِ تحبَلينَ وتَلِدينَ ابنًا. والآنَ فاحذَري ولا تشرَبي خمرًا ولا مُسكِرًا، ولا تأكُلي شَيئًا نَجِسًا. فها إنَّكِ تحبَلينَ وتَلِدينَ ابنًا، ولا يَعلُ موسَى رأسَهُ (لا يحلق شعره مطلقًا)، لأنَّ الصَّبيَّ يكونُ نَذيرًا للهِ مِنَ البَطنِ، وهو يَبدأُ يُخَلِّصُ إسرائيلَ مِنْ يَدِ الفِلِسطينيّينَ».

وكما قال الملاك وُلد شمشون، وقام والديه بتربيته مُتبعين كل تعليمات الله. فكبر شمشون وأصبح رجلاً قويًا جدًا، وكان يكتم سرًا.

فوَلَدَتِ المَرأةُ ابنًا ودَعَتِ اسمَهُ شَمشونَ. فكبِرَ الصَّبيُّ وبارَكَهُ الرَّبُّ. وابتَدأَ روحُ الرَّبِّ يُحَرِّكُهُ في مَحَلَّةِ دانٍ بَينَ صُرعَةَ وأشتأولَ. ونَزَلَ شَمشونُ إلَى تِمنَةَ، ورأى امرأةً في تِمنَةَ مِنْ بَناتِ الفِلِسطينيّينَ.

فصَعِدَ وأخبَرَ أباهُ وأُمَّهُ وقالَ: «قد رأيتُ امرأةً في تِمنَةَ مِنْ بَناتِ الفِلِسطينيّينَ، فالآنَ خُذاها ليَ امرأةً».

فقالَ لهُ أبوهُ وأُمُّهُ: «أليس في بَناتِ إخوَتِكَ وفي كُلِّ شَعبي امرأةٌ حتَّى أنَّكَ ذاهِبٌ لتأخُذَ امرأةً مِنَ الفِلِسطينيّينَ الغُلفِ (غير المختونين)؟».

فقالَ شَمشونُ لأبيهِ: «إيّاها خُذْ لي لأنَّها حَسُنَتْ في عَينَيَّ». ولَمْ يَعلَمْ أبوهُ وأُمُّهُ أنَّ ذلكَ مِنَ الرَّبِّ، لأنَّهُ كانَ يَطلُبُ عِلَّةً علَى الفِلِسطينيّينَ. وفي ذلكَ الوقتِ كانَ الفِلِسطينيّونَ مُتَسَلِّطينَ علَى إسرائيلَ.

فنَزَلَ شَمشونُ وأبوهُ وأُمُّهُ إلَى تِمنَةَ، وأتَوْا إلَى كُرومِ تِمنَةَ. وإذا بشِبلِ أسَدٍ يُزَمجِرُ للِقائهِ. فحَلَّ علَيهِ روحُ الرَّبِّ، فشَقَّهُ كشَقِّ الجَدي، وليس في يَدِهِ شَيءٌ. ولَمْ يُخبِرْ أباهُ وأُمَّهُ بما فعَلَ. فنَزَلَ وكلَّمَ المَرأةَ فحَسُنَتْ في عَينَيْ شَمشونَ.

ولَمّا رَجَعَ بَعدَ أيّامٍ لكَيْ يأخُذَها، مالَ لكَيْ يَرَى رِمَّةَ (جثة) الأسَدِ، وإذا دَبرٌ (سرب) مِنَ النَّحلِ في جَوْفِ الأسَدِ مع عَسَلٍ. فاشتارَ (أخذ) مِنهُ علَى كفَّيهِ، وكانَ يَمشي ويأكُلُ، وذَهَبَ إلَى أبيهِ وأُمِّهِ وأعطاهُما فأكلا، ولَمْ يُخبِرهُما أنَّهُ مِنْ جَوْفِ الأسَدِ اشتارَ العَسَلَ.

ونَزَلَ أبوهُ إلَى المَرأةِ، فعَمِلَ هناكَ شَمشونُ وليمَةً، لأنَّهُ هكذا كانَ يَفعَلُ الفِتيانُ. فلَمّا رأوهُ أحضَروا ثَلاثينَ مِنَ الأصحابِ، فكانوا معهُ. فقالَ لهُمْ شَمشونُ: «لأُحاجِيَنَّكُمْ أُحجيَّةً (سأقول لكم فزورة)، فإذا حَلَلتُموها لي في سبعَةِ أيّامِ الوَليمَةِ وأصَبتُموها، أُعطيكُمْ ثَلاثينَ قَميصًا وثَلاثينَ حُلَّةَ ثيابٍ (ثوب خارجي مزخرف). وإنْ لَمْ تقدِروا أنْ تحُلّوها لي، تُعطوني أنتُمْ ثَلاثينَ قَميصًا وثَلاثينَ حُلَّةَ ثيابٍ». فقالوا لهُ: «حاجِ أُحجيَّتَكَ فنَسمَعَها».

فقالَ لهُمْ:

«مِنَ الآكِلِ خرجَ أُكلٌ،

ومِنَ الجافي خرجَتْ حَلاوَةٌ».

فلَمْ يستطيعوا أنْ يَحُلّوا الأُحجيَّةَ في ثَلاثَةِ أيّامٍ. وكانَ في اليومِ السّابعِ أنهُم قالوا لامرأةِ شَمشونَ: «تمَلَّقي (تحايلي على) رَجُلكِ لكَيْ يُظهِرَ لنا الأُحجيَّةَ، لئَلّا نُحرِقَكِ وبَيتَ أبيكِ بنارٍ. ألِتَسلِبونا (الكي تسرقونا) دَعَوْتُمونا أم لا؟».

فبَكَتِ امرأةُ شَمشونَ لَدَيهِ وقالَتْ: «إنَّما كرِهتَني ولا تُحِبُّني. قد حاجَيتَ بَني شَعبي أُحجيَّةً وإيّايَ لَمْ تُخبِرْ».

فقالَ لها: «هوذا أبي وأُمّي لَمْ أُخبِرهُما، فهل إيّاكِ أُخبِرُ؟». فبَكَتْ لَدَيهِ السَّبعَةَ الأيّامِ الّتي فيها كانتْ لهُمُ الوَليمَةُ. وكانَ في اليومِ السّابعِ أنَّهُ أخبرَها لأنَّها ضايَقَتهُ، فأظهَرَتِ الأُحجيَّةَ لبَني شَعبِها.

فقالَ لهُ رِجالُ المدينةِ في اليومِ السّابعِ قَبلَ غُروبِ الشَّمسِ:

«أيُّ شَيءٍ أحلَى مِنَ العَسَلِ،

وما أجفَى مِنَ الأسَدِ؟».

فقالَ لهُمْ:

«لو لَمْ تحرُثوا علَى عِجلَتي،

لَما وجَدتُمْ أُحجيَّتي».

وحَلَّ علَيهِ روحُ الرَّبِّ فنَزَلَ إلَى أشقَلونَ وقَتَلَ مِنهُمْ ثَلاثينَ رَجُلًا، وأخَذَ سلَبَهُمْ وأعطَى الحُلَلَ لمُظهِري الأُحجيَّةِ. وحَميَ غَضَبُهُ وصَعِدَ إلَى بَيتِ أبيهِ. فصارَتِ امرأةُ شَمشونَ لصاحِبِهِ الّذي كانَ يُصاحِبُهُ.

وكانَ بَعدَ مُدَّةٍ في أيّامِ حَصادِ الحِنطَةِ، أنَّ شَمشونَ افتَقَدَ (ذهب ليزور) امرأتَهُ بجَدي مِعزًى. وقالَ: «أدخُلُ إلَى امرأتي إلَى حُجرَتِها». ولكن

أباها لَمْ يَدَعهُ أنْ يَدخُلَ. وقالَ أبوها: «إنّي قُلتُ إنَّكَ قد كرِهتَها فأعطَيتُها لصاحِبِكَ. أليستْ أُختُها الصَّغيرَةُ أحسَنَ مِنها؟ فلتَكُنْ لكَ عِوَضًا عنها».

فقالَ لهُمْ شَمشونُ: «إنّي بَريءٌ الآنَ مِنَ الفِلِسطينيّينَ إذا عَمِلتُ بِهِمْ شَرًّا». وذَهَبَ شَمشونُ وأمسَكَ ثَلاثَ مِئَةِ ابنِ آوَى (حيوان من فصيلة الثعلب)، وأخَذَ مَشاعِلَ وجَعَلَ ذَنبًا إلَى ذَنَبٍ (ربط ذيلي كل اثنين منهما معًا)، ووضَعَ مَشعَلًا بَينَ كُلِّ ذَنبَينِ في الوَسَطِ، ثُمَّ أضرَمَ (أشعل) المَشاعِلَ نارًا وأطلَقَها بَينَ زُروعِ الفِلِسطينيّينَ، فأحرَقَ الأكداسَ (أكوام الزرع الذي تم حصده) والزَّرعَ وكُرومَ الزَّيتونِ.

فقالَ الفِلِسطينيّونَ: «مَنْ فعَلَ هذا؟» فقالوا: «شَمشونُ صِهرُ (زوج ابنة) التِّمنيِّ (الرجل الذي من تمنة)، لأنَّهُ أخَذَ امرأتَهُ وأعطاها لصاحِبِهِ». فصَعِدَ الفِلِسطينيّونَ وأحرَقوها وأباها بالنّارِ. فقالَ لهُمْ شَمشونُ: «ولَوْ فعَلتُمْ هذا فإنّي أنتَقِمُ مِنكُمْ، وبَعدُ أكُفُّ». وضَرَبَهُمْ ساقًا علَى فخذٍ (قتلهم) ضَربًا عظيمًا. ثُمَّ نَزَلَ وأقامَ في شَقِّ صَخرَةِ (كهف) عيطَمَ.

وصَعِدَ الفِلِسطينيّونَ ونَزَلوا في يَهوذا وتَفَرَّقوا في لَحيٍ. فقالَ رِجالُ يَهوذا: «لماذا صَعِدتُمْ علَينا؟» فقالوا: «صَعِدنا لكَيْ نوثِقَ شَمشونَ لنَفعَلَ بِهِ كما فعَلَ بنا».

فنَزَلَ ثَلاثَةُ آلافِ رَجُلٍ مِنْ يَهوذا إلَى شَقِّ صَخرَةِ عيطَمَ، وقالوا لشَمشونَ: «أما عَلِمتَ أنَّ الفِلِسطينيّينَ مُتَسَلِّطونَ علَينا؟ فماذا فعَلتَ بنا؟» فقالَ لهُمْ: «كما فعَلوا بي هكذا فعَلتُ بِهِمْ». فقالوا لهُ: «نَزَلنا لكَيْ نوثِقَكَ ونُسَلِّمَكَ إلَى يَدِ الفِلِسطينيّينَ». فقالَ لهُمْ شَمشونُ: «احلِفوا لي أنَّكُمْ أنتُمْ لا تقَعونَ علَيَّ (لن تقتلوني)». فكلَّموهُ قائلينَ: «كلّا. ولكننا نوثِقُكَ ونُسَلِّمُكَ إلَى يَدِهِمْ، وقَتلًا لا نَقتُلُكَ». فأوثَقوهُ بحَبلَينِ جديدَينِ وأصعَدوهُ مِنَ الصَّخرَةِ.

ولَمّا جاءَ إلَى لَحي، صاحَ الفِلِسطينيّونَ لِلِقائِهِ. فحَلَّ علَيهِ روحُ الرَّبِّ، فكانَ الحَبلانِ اللَّذانِ علَى ذِراعَيهِ ككَتّانٍ أُحرِقَ بالنّارِ، فانحَلَّ الوِثاقُ عن يَدَيهِ. ووجَدَ لَحيَ (الفك الأسفل) حِمارٍ طَرِيًّا، فمَدَّ يَدَهُ وأخَذَهُ وضَرَبَ بِهِ ألفَ رَجُلٍ. فقالَ شَمشونُ:

«بلَحيِ حِمارٍ كومَةً كومَتَينِ (أي جثث القتلى أكوام).

بلَحيِ حِمارٍ قَتَلتُ ألفَ رَجُلٍ».

ولَمّا فرَغَ مِنَ الكلامِ رَمَى اللَّحيِ مِنْ يَدِهِ، ودَعا ذلكَ المَكانَ «رَمَتَ لَحيٍ».

ثُمَّ عَطِشَ جِدًّا فدَعا الرَّبَّ وقالَ: «إنَّكَ قد جَعَلتَ بيَدِ عَبدِكَ هذا الخَلاصَ العظيمَ، والآنَ أموتُ مِنَ العَطَشِ وأسقُطُ بيَدِ الغُلفِ». فشَقَّ اللهُ الكِفَّةَ (حفرة في الأرض) الّتي في لَحيٍ، فخرجَ مِنها ماءٌ، فشَرِبَ ورَجَعَتْ روحُهُ فانتَعَشَ. لذلكَ دَعا اسمَهُ «عَينَ هَقّوري» الّتي في لَحيٍ إلَى هذا اليومِ. وقَضَى لإسرائيلَ في أيّامِ الفِلِسطينيّينَ عِشرينَ سنَةً.

ثُمَّ ذَهَبَ شَمشونُ إلَى غَزَّةَ، ورأى هناكَ امرأةً زانيَةً فدَخَلَ إليها. فقيلَ للغَزّيّينَ: «قد أتَى شَمشونُ إلَى هنا». فأحاطوا بِهِ وكمَنوا لهُ اللَّيلَ كُلَّهُ عِندَ بابِ المدينةِ. فهَدأوا اللَّيلَ كُلَّهُ قائلينَ: «عِندَ ضَوْءِ الصّباحِ نَقتُلُهُ».

فاضطَجَعَ شَمشونُ إلَى نِصفِ اللَّيلِ، ثُمَّ قامَ في نِصفِ اللَّيلِ وأخَذَ مِصراعَيْ (ضلفتي الباب) بابِ المدينةِ والقائمَتَينِ وقَلَعَهُما مع العارِضَةِ، ووضَعَها علَى كتِفَيهِ وصَعِدَ بها إلَى رأسِ الجَبَلِ الّذي مُقابِلَ حَبرونَ.

وكانَ بَعدَ ذلكَ أنَّهُ أحَبَّ امرأةً في وادي سورَقَ اسمُها دَليلَةُ. فصَعِدَ إليها أقطابُ (رؤساء) الفِلِسطينيّينَ وقالوا لها: «تمَلَّقيهِ وانظُري بماذا قوَّتُهُ (سر قوته) العظيمَةُ، وبماذا نَتَمَكَّنُ مِنهُ (كيف نتغلب عليه) لكَيْ نوثِقَهُ لإذلالِهِ، فنُعطيَكِ كُلُّ واحِدٍ ألفًا ومِئَةَ شاقِلِ فِضَّةٍ».

فقالَتْ دَليلَةُ لشَمشونَ: «أخبِرني بماذا قوَّتُكَ العظيمَةُ؟ وبماذا توثَقُ لإذلالِكَ؟» فقالَ لها شَمشونُ: «إذا أوثَقوني بسَبعَةِ أوتارٍ (حبال) طَريَّةٍ لَمْ تجِفَّ، أضعُفُ وأصيرُ كواحِدٍ مِنَ النّاسِ».

فأصعَدَ لها أقطابُ الفِلِسطينيّينَ سبعَةَ أوتارٍ طَريَّةٍ لَمْ تجِفَّ، فأوثَقَتهُ بها، والكَمينُ لابِثٌ (مختبئ) عِندَها في الحُجرَةِ. فقالَتْ لهُ: «الفِلِسطينيّونَ علَيكَ يا شَمشونُ». فقَطَعَ الأوتارَ كما يُقطَعُ فتيلُ المَشاقَةِ (خيط من الكتان) إذا شَمَّ النّارَ، ولَمْ تُعلَمْ قوَّتُهُ.

فقالَتْ دَليلَةُ لشَمشونَ: «ها قد خَتَلتَني (خدعتني) وكلَّمتَني بالكَذِبِ، فأخبِرنيَ الآنَ بماذا توثَقُ؟». فقالَ لها: «إذا أوثَقوني بحِبالٍ جديدَةٍ لَمْ تُستَعمَلْ، أضعُفُ وأصيرُ كواحِدٍ مِنَ النّاسِ».

فأخَذَتْ دَليلَةُ حِبالاً جديدَةً وأوثَقَتهُ بها، وقالَتْ لهُ: «الفِلِسطينيّونَ علَيكَ يا شَمشونُ، والكَمينُ لابِثٌ في الحُجرَةِ». فقَطَعَها عن ذِراعَيهِ كخَيطٍ.

فقالَتْ دَليلَةُ لشَمشونَ: «حتَّى الآنَ خَتَلتَني وكلَّمتَني بالكَذِبِ، فأخبِرني بماذا توثَقُ؟». فقالَ لها: «إذا ضَفَرتِ سبعَ خُصَلِ رأسي مع السَّدَى (خيوط النول)» فمَكَّنَتها (ربطتها بإحكام) بالوَتَدِ. وقالَتْ لهُ: «الفِلِسطينيّونَ علَيكَ يا شَمشونُ». فانتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ وقَلَعَ وتَدَ النَّسيجِ والسَّدَى.

فقالَتْ لهُ: «كيفَ تقولُ أُحِبُّكِ، وقَلبُكَ ليس مَعي؟ هوذا ثَلاثَ مَرّاتٍ قد خَتَلتَني ولَمْ تُخبِرني بماذا قوَّتُكَ العظيمَةُ». ولَمّا كانتْ تُضايِقُهُ بكلامِها كُلَّ يومٍ وألَحَّتْ علَيهِ، ضاقَتْ نَفسُهُ إلَى الموتِ.

فكشَفَ لها كُلَّ قَلبِهِ، وقالَ لها: «لَمْ يَعلُ موسَى رأسي لأنّي نَذيرُ اللهِ مِنْ بَطنِ أُمّي، فإنْ حُلِقتُ تُفارِقُني قوَّتي وأضعُفُ وأصيرُ كأحَدِ

النّاسِ». ولَمّا رأتْ دَليلَةُ أنَّهُ قد أخبَرَها بكُلِّ ما بقَلبِهِ، أرسَلَتْ فدَعَتْ أقطابَ الفِلِسطينيّينَ وقالَتِ: «اصعَدوا هذِهِ المَرَّةَ فإنَّهُ قد كشَفَ لي كُلَّ قَلبِهِ». فصَعِدَ إليها أقطابُ الفِلِسطينيّينَ وأصعَدوا الفِضَّةَ بيَدِهِمْ. وأنامَتهُ علَى رُكبَتَيها ودَعَتْ رَجُلًا وحَلَقَتْ سبعَ خُصَلِ رأسِهِ، وابتَدأتْ بإذلالِهِ، وفارَقَتهُ قوَّتُهُ.

وقالَتِ: «الفِلِسطينيّونَ علَيكَ يا شَمشونُ». فانتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ وقالَ: «أخرُجُ حَسَبَ كُلِّ مَرَّةٍ وأنتَفِضُ». ولَمْ يَعلَمْ أنَّ الرَّبَّ قد فارَقَهُ. فأخَذَهُ الفِلِسطينيّونَ وقَلَعوا عَينَيهِ، ونَزَلوا بهِ إلَى غَزَّةَ وأوثَقوهُ بسَلاسِلِ نُحاسٍ. وكانَ يَطحَنُ في بَيتِ السِّجنِ. وابتَدأَ شَعرُ رأسِهِ يَنبُتُ بَعدَ أنْ حُلِقَ.

وأمّا أقطابُ الفِلِسطينيّينَ فاجتَمَعوا ليَذبَحوا ذَبيحَةً عظيمَةً لداجونَ إلهِهِمْ ويَفرَحوا، وقالوا: «قد دَفَعَ إلهنا ليَدِنا شَمشونَ عَدوَّنا». ولَمّا رآهُ الشَّعبُ مَجَّدوا إلهَهُمْ، لأنَّهُمْ قالوا:

«قد دَفَعَ إلهنا ليَدِنا عَدوَّنا
الّذي خَرَّبَ أرضَنا وكثَّرَ قَتلانا».

وكانَ لَمّا طابَتْ قُلوبُهُمْ أنهُم قالوا: «ادعوا شَمشونَ ليَلعَبَ لنا». فدَعَوْا شَمشونَ مِنْ بَيتِ السِّجنِ، فلَعِبَ أمامَهُمْ. وأوقَفوهُ بَينَ الأعمِدَةِ.

فقالَ شَمشونُ للغُلامِ الماسِكِ بيَدِهِ: «دَعني ألمِسِ الأعمِدَةَ الّتي البَيتُ قائمٌ علَيها لأستَنِدَ علَيها». وكانَ البَيتُ مَملوءًا رِجالًا ونِساءً، وكانَ هناكَ جميعُ أقطابِ الفِلِسطينيّينَ، وعلَى السَّطحِ نَحوُ ثَلاثَةِ آلافِ رَجُلٍ وامرأةٍ يَنظُرونَ لعبَ شَمشونَ. فدَعا شَمشونُ الرَّبَّ وقالَ: «يا سيِّدي الرَّبَّ، اذكُرني وشَدِّدني يا اللهُ هذِهِ المَرَّةَ فقط، فأنتَقِمَ نَقمَةً واحِدَةً عن عَينَيَّ مِنَ الفِلِسطينيّينَ». وقَبَضَ شَمشونُ علَى العَمودَينِ

المُتَوَسِّطَينِ اللَّذَينِ كانَ البَيتُ قائمًا علَيهِما، واستَنَدَ علَيهِما الواحِدِ بيَمينِهِ والآخَرِ بيَسارِهِ. وقالَ شَمشونُ: «لتَمُتْ نَفسي مع الفِلِسطينيّينَ». وانحَنَى بقوَّةٍ فسقَطَ البَيتُ علَى الأقطابِ وعلَى كُلِّ الشَّعبِ الّذي فيهِ، فكانَ الموتَى الّذينَ أماتَهُمْ في موتِهِ، أكثَرَ مِنَ الّذينَ أماتَهُمْ في حَياتِهِ.

فنَزَلَ إخوَتُهُ وكُلُّ بَيتِ أبيهِ وحَمَلوهُ وصَعِدوا بهِ ودَفَنوهُ بَينَ صُرعَةَ وأشتأولَ، في قَبرِ مَنوحَ أبيهِ. وهو قَضَى لإسرائيلَ عِشرينَ سنَةً.

بعد موت شمشون استمر الإسرائيليون في التذبذب، فمرة يسيرون مع الله، ومرات يبتعدون عنه، وكانوا يعتقدون أن الله خاص بهم وحدهم. ظهرت راعوث لتتحدى فكرهم هذا. فهي كانت فتاة موآبية فقيرة، لكنها وفية ومخلصة ومُحبة وذكية. فجاء الملك داود من نسلها. والأكثر من هذا أنها كانت اختيار الله الذي أكد مدى اتساع نعمته لكل العالم ليمنحهم الرجاء والحياة، وكذلك خطته لخلاصهم بما يتفق مع عظم المحبة الإلهية.

٩

إيمان امرأة أجنبية

حَدَثَ في أيّامِ حُكم القُضاةِ أنَّهُ صارَ جوعٌ في الأرضِ، فذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيتِ لَحمِ يَهوذا ليَتغرَّبَ في بلادِ موآبَ هو وامرأتُهُ وابناهُ. واسمُ الرَّجُلِ أليمالِكُ، واسمُ امرأتِهِ نُعمي، واسما ابنَيهِ مَحلونُ وكِليونُ، أفراتيّونَ مِنْ بَيتِ لَحمِ يَهوذا. فأتَوْا إلَى بلادِ موآبَ وكانوا هناكَ.

وماتَ أليمالِكُ رَجُلُ نُعمي، وبَقيَتْ هي وابناها. فأخَذا لهُما (أي تزوجا) امرأتَينِ موآبيَّتينِ، اسمُ إحداهُما عُرفَةُ واسمُ الأُخرَى راعوثُ. وأقاما هناكَ نَحوَ عشَرِ سِنينٍ. ثُمَّ ماتا كِلاهُما مَحلونُ وكِليونُ، فتُرِكَتِ المَرأةُ مِنِ ابنَيها ومِنْ رَجُلِها.

فقامَتْ هي وكنَّتاها (زوجتا ابنيها) ورَجَعَتْ مِنْ بلادِ موآبَ، لأنَّها سمِعَتْ في بلادِ موآبَ أنَّ الرَّبَّ قد افتَقَدَ شَعبَهُ ليُعطيَهُمْ خُبزًا. وخرجَتْ مِنَ المَكانِ الّذي كانتْ فيهِ وكنَّتاها معها، وسِرنَ في الطريقِ للرُّجوعِ إلَى أرضِ يَهوذا.

عصر القضاة	رجوع نعمي وراعوث من مواب	راعوث تلتقي ببوعز	بوعز يتزوج من راعوث

ق. م ١٣٧٥ - ١٠٥٠

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

فقالَتْ نُعمي لكَنَّتيها: «اذهَبا ارجِعا كُلٌّ واحِدَةٍ إلَى بَيتِ أُمِّها. وليَصنَع الرَّبُّ معكُما إحسانًا كما صَنَعتُما بالموتَى وبي. وليُعطِكُما الرَّبُّ أنْ تجِدا راحَةً كُلٌّ واحِدَةٍ في بَيتِ رَجُلِها». فقَبَّلَتهُما، ورَفَعنَ أصواتَهُنَّ وبَكَينَ. فقالَتا لها: «إنَّنا نَرجِعُ معكِ إلَى شَعبِكِ».

فقالَتْ نُعمي: «ارجِعا يا بنتَيَّ. لماذا تذهَبانِ مَعي؟ هل في أحشائي بَنونَ بَعدُ حتَّى يكونوا لكُما رِجالًا؟ اِرجِعا يا بنتَيَّ واذهَبا لأنّي قد شِختُ عن أنْ أكونَ لرَجُلٍ. وإنْ قُلتُ لي رَجاءٌ أيضًا بأنّي أصيرُ هذِهِ اللَّيلَةَ لرَجُلٍ وألِدُ بَنينَ أيضًا، هل تصبِرانِ لهُمْ حتَّى يَكبُروا؟ هل تنحَجِزانِ (تنتظران) مِنْ أجلِهِمْ عن أنْ تكونا لرَجُلٍ؟ لا يا بنتَيَّ. فإنّي مَغمومَةٌ جِدًّا مِنْ أجلِكُما لأنَّ يَدَ الرَّبِّ قد خرجَتْ علَيَّ (أصبحت ضدي)». ثُمَّ رَفَعنَ أصواتَهُنَّ وبَكَينَ أيضًا. فقَبَّلَتْ عُرفَةُ حَماتَها، وأمّا راعوثُ فلَصِقَتْ بها (رفضت أن تفارقها). فقالَتْ: «هوذا قد رَجَعَتْ سِلفَتُكِ إلَى شَعبِها وآلِهَتِها. اِرجِعي أنتِ وراءَ سِلفَتِكِ».

فقالَتْ راعوثُ: «لا تُلِحّي علَيَّ أنْ أترُكَكِ وأرجِعَ عنكِ، لأنَّهُ حَيثُما ذَهَبتِ أذهَبُ وحَيثُما بتِّ أبيتُ. شَعبُكِ شَعبي وإلهُكِ إلهي. حَيثُما مُتِّ أموتُ وهناكَ أندَفِنُ. هكذا يَفعَلُ الرَّبُّ بي وهكذا يَزيدُ. إنَّما الموتُ يَفصِلُ بَيني وبَينَكِ». فلَمّا رأتْ أنَّها مُشَدِّدَةٌ علَى الذَّهابِ معها، كفَّتْ عن الكلامِ إليها.

فذَهَبَتا كِلتاهُما حتَّى دَخَلَتا بَيتَ لَحمٍ. وكانَ عِندَ دُخولِهما بَيتَ لَحمٍ أنَّ المدينةَ كُلَّها تحَرَّكَتْ (ارتجت) بسَبَبِهِما، وقالوا: «أهذِهِ نُعمي؟» فقالَتْ لهُمْ: «لا تدعوني نُعميَ بل ادعوني مُرَّةَ، لأنَّ القديرَ قد أمَرَّني (أذاقني المُر) جِدًّا. إنّي ذَهَبتُ مُمتَلِئَةً وأرجَعَنيَ الرَّبُّ فارِغَةً. لماذا تدعونَني نُعمي، والرَّبُّ قد أذَلَّني والقديرُ قد كسَّرَني؟» فرَجَعَتْ نُعميَ

وراعوثُ الموآبيَّةُ كنَّتُها معها، الّتي رَجَعَتْ مِنْ بلادِ موآبَ، ودَخَلَتا بَيتَ لَحمٍ في ابتِداءِ حَصادِ الشَّعيرِ.

وكانَ لنُعمي ذو قَرابَةٍ لرَجُلِها، جَبّارُ بأسٍ مِنْ عَشيرَةِ (عائلة) أليمالِكَ، اسمُهُ بوعَزُ. فقالَتْ راعوثُ الموآبيَّةُ لنُعمي: «دَعيني أذهَبْ إلَى الحَقلِ وألتَقِطْ سنابِلَ وراءَ مَنْ أجِدُ نِعمَةً في عَينَيهِ». فقالَتْ لها: «اذهَبي يا بنتي».

فذَهَبَتْ وجاءَتْ والتَقَطَتْ في الحَقلِ وراءَ الحَصّادينَ. فاتَّفَقَ (تصادف) نَصيبُها في قِطعَةِ حَقلٍ لبوعَزَ الّذي مِنْ عَشيرَةِ أليمالِكَ.

وإذا ببوعَزَ قد جاءَ مِنْ بَيتِ لَحمٍ وقالَ للحَصّادينَ: «الرَّبُّ معكُمْ». فقالوا لهُ: «يُبارِكُكَ الرَّبُّ». فقالَ بوعَزُ لغُلامِهِ الموَكَّلِ علَى الحَصّادينَ: «لمَنْ هذِهِ الفَتاةُ؟» فأجابَ ألغُلامُ الموَكَّلُ علَى الحَصّادينَ وقالَ: «هي فتاةٌ موآبيَّةٌ قد رَجَعَتْ مع نُعمي مِنْ بلادِ موآبَ، وقالَتْ: دَعوني ألتَقِطْ وأجمَعْ بَينَ الحُزَمِ وراءَ الحَصّادينَ. فجاءَتْ ومَكَثَتْ مِنَ الصّباحِ إلَى الآنَ. قَليلًا مّا لَبِثَتْ في البَيتِ».

فقالَ بوعَزُ لراعوثَ: «ألا تسمَعينَ يا بنتي؟ لا تذهَبي لتَلتَقِطي في حَقلِ آخَرَ، وأيضًا لا تبرَحي مِنْ ههنا، بل هنا لازِمي فتياتي. عَيناكِ علَى الحَقلِ الّذي يَحصُدونَ واذهَبي وراءَهُمْ. ألَمْ أوصِ الغِلمانَ أنْ لا يَمَسّوكِ؟ وإذا عَطِشتِ فاذهَبي إلَى الآنيَةِ واشرَبي مِمّا استَقاهُ (أحضره) الغِلمانُ».

فسقَطَتْ علَى وجهِها وسَجَدَتْ إلَى الأرضِ وقالَتْ لهُ: «كيفَ وجَدتُ نِعمَةً في عَينَيكَ حتَّى تنظُرَ إلَيَّ وأنا غَريبَةٌ؟» فأجابَ بوعَزُ وقالَ لها: «إنَّني قد أُخبِرتُ بكُلِّ ما فعَلتِ بحَماتِكِ بَعدَ موتِ رَجُلِكِ، حتَّى تركتِ أباكِ وأُمَّكِ وأرضَ مَوْلِدِكِ وسِرتِ إلَى شَعبٍ لَمْ تعرِفيهِ مِنْ قَبلُ.

ليُكافِئ الرَّبُّ عَمَلكِ، وليَكُنْ أجرُكِ كامِلاً مِنْ عِندِ الرَّبِّ إلهِ إسرائيلَ الّذي جِئتِ لكَيْ تحتَمِيَ تحتَ جَناحَيهِ».

فقالَتْ: «لَيتَني أجِدُ نِعمَةً في عَينَيكَ يا سيِّدي لأنَّكَ قد عَزَّيتَني وطَيَّبتَ قَلبَ جارِيَتِكَ، وأنا لَستُ كواحِدَةٍ مِنْ جَواريكَ». فقالَ لها بوعَزُ: «عِندَ وقتِ الأكلِ تقَدَّمي إلَى ههنا وكُلي مِنَ الخُبزِ، واغمِسي لُقمَتَكِ في الخَلِّ». فجَلَسَتْ بجانِبِ الحَصّادينَ فناوَلها فريكًا، فأكلَتْ وشَبِعَتْ وفَضَلَ عنها. ثُمَّ قامَتْ لتَلتَقِطَ. فأمَرَ بوعَزُ غِلمانَهُ قائلاً: «دَعوها تلتَقِطْ بَينَ الحُزَمِ أيضًا ولا تؤذوها. وأنسِلوا (اسحبوا) أيضًا لها مِنَ الشَّمائلِ (الحزم الكبيرة) ودَعوها تلتَقِطْ ولا تنتَهِروها».

فالتَقَطَتْ في الحَقلِ إلَى المساءِ، وخَبَطَتْ (فصلت الحبوب عن القش) ما التَقَطَتهُ فكانَ نَحوَ إيفَةِ شَعيرٍ. فحَمَلَتهُ ودَخَلَتِ المدينةَ. فرأتْ حَماتُها ما التَقَطَتهُ. وأخرَجَتْ وأعطَتها ما فضَلَ عنها بَعدَ شِبَعِها.

فقالَتْ لها حَماتُها: «أين التَقَطتِ اليومَ؟ وأين اشتَغَلتِ؟ ليَكُنِ النّاظِرُ إلَيكِ مُبارَكًا». فأخبَرَتْ حَماتَها بالّذي اشتَغَلَتْ معهُ وقالَتِ: «اسمُ الرَّجُلِ الّذي اشتَغَلتُ معهُ اليومَ بوعَزُ».

فقالَتْ نُعمي لكَنَّتِها: «مُبارَكٌ هو مِنَ الرَّبِّ لأنَّهُ لَمْ يترُكِ المَعروفَ مع الأحياءِ والموتَى». ثُمَّ قالَتْ لها نُعمي: «الرَّجُلُ ذو قَرابَةٍ لنا. هو ثاني ولِيِّنا (أقاربنا)». فقالَتْ راعوثُ الموآبِيَّةُ: «إنَّهُ قالَ لي أيضًا: لازِمي فِتياني حتَّى يُكَمِّلوا جميعَ حَصادي». فقالَتْ نُعمي لراعوثَ كنَّتِها: «إنَّهُ حَسَنٌ يا بنتي أنْ تخرُجي مع فتياتِهِ حتَّى لا يَقَعوا بكِ (يسيئوا إليك) في حَقلٍ آخَرَ».

فلازَمَتْ فتياتِ بوعَزَ في الِالتِقاطِ حتَّى انتَهَى حَصادُ الشَّعيرِ وحَصادُ الحِنطَةِ. وسَكَنَتْ مع حَماتِها.

وقالَتْ لها نُعمي حَماتُها: «يا بِنتي ألا أَلتَمِسُ لكِ راحَةً (إني أفكر في راحتك) ليكونَ لكِ خَيرٌ؟ فالآنَ أليس بوعَزُ ذا قَرابَةٍ لنا، الّذي كُنتِ مع فتياتِهِ؟ ها هو يُذَرّي بَيدَرَ الشَّعيرِ (يفصل الحبوب عن القش) اللَّيلَةَ. فاغتَسِلي وتَدَهَّني والبَسي ثيابَكِ وانزِلي إلَى البَيدَرِ، ولكن لا تُعرَفي عِندَ الرَّجُلِ حتَّى يَفرَغَ مِنَ الأكلِ والشُّربِ. ومَتَى اضطَجَعَ فاعلَمي المَكانَ الّذي يَضطَجِعُ فيهِ، وادخُلي واكشِفي ناحيَةَ رِجلَيهِ واضطَجِعي، وهو يُخبِرُكِ بما تعمَلينَ». فقالَتْ لها: «كُلَّ ما قُلتِ أصنَعُ».

فنَزَلَتْ إلَى البَيدَرِ وعَمِلَتْ حَسَبَ كُلِّ ما أمَرَتها بِهِ حَماتُها. فأكلَ بوعَزُ وشَرِبَ وطابَ قَلبُهُ ودَخَلَ ليَضطَجِعَ في طَرَفِ العَرَمَةِ (الكومة). فدَخَلَتْ سِرًّا وكشَفَتْ ناحيَةَ رِجلَيهِ واضطَجَعَتْ.

وكانَ عِندَ انتِصافِ اللَّيلِ أنَّ الرَّجُلَ اضطَرَبَ، والتَفَتَ وإذا بامرأةٍ مُضطَجِعَةٍ عِندَ رِجلَيهِ. فقالَ: «مَنْ أنتِ؟» فقالَتْ: «أنا راعوثُ أمَتُكَ. فابسُطْ ذَيلَ ثَوْبِكَ (اشملني برعايتك) علَى أمَتِكَ لأنَّكَ وليٌّ». فقالَ: «إنَّكِ مُبارَكَةٌ مِنَ الرَّبِّ يا بنتي لأنَّكِ قد أحسَنتِ مَعروفكِ في الأخيرِ أكثَرَ مِنَ الأوَّلِ، إذ لَمْ تسعَيْ وراءَ الشُّبّانِ، فُقَراءَ كانوا أو أغنياءَ. والآنَ يا بِنتي لا تخافي. كُلُّ ما تقولينَ أفعَلُ لكِ، لأنَّ جميعَ أبوابِ شَعبي تعلَمُ أنَّكِ امرأةٌ فاضِلَةٌ. والآنَ صَحيحٌ أنّي وليٌّ، ولكن يوجَدُ وليٌّ أقرَبُ مِنّي. بيتي اللَّيلَةَ، ويكونُ في الصّباحِ أنَّهُ إنْ قَضَى لكِ حَقَّ الوَليِّ (نفذ لك حق الرعاية) فحَسَنًا. ليَقضِ. وإنْ لَمْ يَشأْ أنْ يَقضيَ لكِ حَقَّ الوَليِّ، فأنا أقضي لكِ. حَيٌّ هو الرَّبُّ. اِضطَجِعي إلَى الصّباحِ».

فاضطَجَعَتْ عِندَ رِجلَيهِ إلَى الصّباحِ. ثُمَّ قامَتْ قَبلَ أنْ يَقدِرَ الواحِدُ علَى مَعرِفَةِ صاحِبِهِ. وقالَ: «لا يُعلَمْ أنَّ المَرأةَ جاءَتْ إلَى البَيدَرِ». ثُمَّ قالَ: «هاتي الرِّداءَ الّذي علَيكِ وأمسِكيهِ». فأمسَكَتهُ، فاكتالَ (ملأ بمكيال)

سِتَّةً مِنَ الشَّعيرِ ووضَعَها علَيها، ثُمَّ دَخَلَتَ المدينةَ. فجاءَتْ إلَى حَماتِها فقالَتْ: «مَنْ أنتِ يا بنتي؟». فأخبَرَتها بكُلِّ ما فعَلَ لها الرَّجُلُ. وقالَتْ: «هذِهِ السِّتَّةَ مِنَ الشَّعيرِ أعطاني، لأنَّهُ قالَ: لا تجيئي فارِغَةً إلَى حَماتِكِ». فقالَتِ: «اجلِسي يا بنتي حتَّى تعلَمي كيفَ يَقَعُ الأمرُ، لأنَّ الرَّجُلَ لا يَهدأُ حتَّى يُتَمِّمَ الأمرَ اليومَ».

فصَعِدَ بوعَزُ إلَى البابِ (باب المدينة) وجَلَسَ هناكَ. وإذا بالوَليِّ الّذي تكلَّمَ عنهُ بوعَزُ عابِرٌ. فقالَ: «مِلْ واجلِسْ هنا أنتَ يا فُلانُ الفُلانيُّ». فمالَ وجَلَسَ. ثُمَّ أخَذَ عشَرَةَ رِجالٍ مِنْ شُيوخِ المدينةِ وقالَ لهُمُ: «اجلِسوا هنا». فجَلَسوا. ثُمَّ قالَ للوَليِّ: «إنَّ نُعميَ الّتي رَجَعَتْ مِنْ بلادِ موآبَ تبيعُ قِطعَةَ الحَقلِ الّتي لأخينا أليمالِكَ. فقُلتُ إنّي أُخبِرُكَ قائلًا: اشتَرِ قُدّامَ الجالِسينَ وقُدّامَ شُيوخِ شَعبي. فإنْ كُنتَ تفُكُّ (تشتري) ففُكَّ. وإنْ كُنتَ لا تفُكُّ فأخبِرني لأعلَمَ. لأنَّهُ ليس غَيرُكَ يَفُكُّ وأنا بَعدَكَ». فقالَ: «إنّي أفُكُّ». فقالَ بوعَزُ: «يومَ تشتَري الحَقلَ مِنْ يَدِ نُعمي تشتَري أيضًا مِنْ يَدِ راعوثَ الموآبيَّةِ امرأةِ المَيِّتِ لتُقيمَ اسمَ المَيِّتِ علَى ميراثِهِ». فقالَ الوَليُّ: «لا أقدِرُ أنْ أفُكَّ لنَفسي لئَلا أُفسِدَ ميراثي. ففُكَّ أنتَ لنَفسِكَ فِكاكي لأنّي لا أقدِرُ أنْ أفُكَّ». وهذِهِ هي العادَةُ سابِقًا في إسرائيلَ في أمرِ الفِكاكِ والمُبادَلَةِ، لأجلِ إثباتِ كُلِّ أمرٍ. يَخلَعُ الرَّجُلُ نَعلهُ ويُعطيهِ لصاحِبِهِ. فهذِهِ هي العادَةُ في إسرائيلَ. فقالَ الوَليُّ لبوعَزَ: «اشتَرِ لنَفسِكَ». وخَلَعَ نَعلهُ.

فقالَ بوعَزُ للشُّيوخِ ولِجميعِ الشَّعبِ: «أنتُمْ شُهودٌ اليومَ أنّي قد اشتَرَيتُ كُلَّ ما لأليمالِكَ وكُلَّ ما لكِليونَ ومَحلونَ مِنْ يَدِ نُعمي. وكذا راعوثُ الموآبيَّةُ امرأةُ مَحلونَ قد اشتَرَيتُها ليَ امرأةً، لأُقيمَ اسمَ المَيِّتِ علَى ميراثِهِ ولا يَنقَرِضُ اسمُ المَيِّتِ مِنْ بَينِ إخوَتِهِ ومِنْ بابِ مَكانِهِ.

أنتُمْ شُهودٌ اليومَ». فقالَ جميعُ الشَّعبِ الّذينَ في البابِ والشُّيوخُ: «نَحنُ شُهودٌ. فليَجعَلِ الرَّبُّ المَرأةَ الدّاخِلَةَ إلَى بَيتِكَ كراحيلَ وكلَيئَةَ اللَّتَينِ بَنَتا بَيتَ إسرائيلَ. فاصنَعْ ببأسٍ في أفراتَةَ وكُنْ ذا اسمٍ في بَيتِ لَحمٍ. وليَكُنْ بَيتُكَ كبَيتِ فارَصَ الّذي ولَدَتهُ ثامارُ ليَهوذا، مِنَ النَّسلِ الّذي يُعطيكَ الرَّبُّ مِنْ هذِهِ الفَتاةِ».

فأخَذَ بوعَزُ راعوثَ امرأةً ودَخَلَ علَيها، فأعطاها الرَّبُّ حَبَلًا فوَلَدَتِ ابنًا. فقالَتِ النِّساءُ لنُعمي: «مُبارَكٌ الرَّبُّ الّذي لَمْ يُعدِمكِ وليًّا اليومَ لكَيْ يُدعَى اسمُهُ في إسرائيلَ. ويكونُ لكِ لإرجاعِ نَفسٍ وإعالَةِ شَيبَتِكِ. لأنَّ كنَّتَكِ الّتي أحَبَّتكِ قد ولَدَتهُ، وهي خَيرٌ لكِ مِنْ سبعَةِ بَنينَ». فأخَذَتْ نُعمي الوَلَدَ ووضَعَتهُ في حِضنِها وصارَتْ لهُ مُرَبّيةً. وسَمَّتهُ الجاراتُ اسمًا قائلاتٍ: «قد وُلِدَ ابنٌ لنُعمي» ودَعَوْنَ اسمَهُ عوبيدَ. هو أبو يَسَّى أبي داوُدَ.

من خلال قصة راعوث، نلمح بداية الحديث عن داود، حفيدها العظيم، الراعي والملك المشهور، ولكن قبل بداية عصر داود الذهبي، نقف أمام كاهن ونبي عظيم لإسرائيل. إنه صموئيل، الذي وُلد بعد معاناة واستجابة صلوات. عرف جميع الشعب وقتها أن صموئيل اؤتمن ليكون نبيًا للرب. وكانت مسئوليته الأولى هي دعوة الشعب للرجوع إلى الله. وكانت لديه مهمة إيجاد ملك لشعب الله. وبالرغم من صعوبة هذه المهمة إلا أنه قام بها لأنها كانت جزءًا من خطة الله الأمينة.

١٠

عظيم.. سقوطه عظيم

كانَ رَجُلٌ مِنْ رامَتايِمَ صوفيمَ مِنْ جَبَلِ أفرايِمَ اسمُهُ ألقانَةُ بنُ يَروحامَ بنِ أليهو بنِ توحوَ بنِ صوفٍ. هو أفرايِميٌّ. ولهُ امرأتانِ، اسمُ الواحِدَةِ حَنَّةُ، واسمُ الأُخرَى فِنِنَّةُ. وكانَ لفَنِنَّة أولادٌ، وأمّا حَنَّةُ فلَمْ يَكُنْ لها أولادٌ.

وكانَ هذا الرَّجُلُ يَصعَدُ مِنْ مَدينَتِهِ مِنْ سنَةٍ إلَى سنَةٍ ليَسجُدَ ويَذبَحَ لرَبِّ الجُنودِ في شيلوهَ (مكان خيمة الاجتماع). وكانَ هناكَ ابنا عالي: حُفني وفينَحاسُ، كاهِنا الرَّبِّ. ولَمّا كانَ الوقتُ وذَبَحَ ألقانَةُ (قدم ذبيحة)، أعطَى فنِنَّةَ امرأتَهُ وجميعَ بَنيها وبَناتِها أنصِبةً. وأمّا حَنَّةُ فأعطاها نَصيبَ اثنَينِ، لأنَّهُ كانَ يُحِبُّ حَنَّةَ. ولكن الرَّبَّ كانَ قد أغلَقَ رَحِمَها. وكانتْ ضَرَّتُها تُغيظُها أيضًا غَيظًا لأجلِ المُراغَمَةِ (لمضايقتها)، لأنَّ الرَّبَّ أغلَقَ رَحِمَها.

وهكذا صارَ سنَةً بَعدَ سنَةٍ، كُلَّما صَعِدَتْ إلَى بَيتِ الرَّبِّ، هكذا كانتْ تُغيظُها. فبَكَتْ ولَمْ تأكُلْ. فقالَ لها ألقانَةُ رَجُلُها: «يا حَنَّةُ، لماذا

مولد صموئيل	صموئيل يخدم الرب أمام عالي	شعب إسرائيل يطلب ملكًا	فترة حكم شاول
ق. م ١١٠٥			١٠٥٠-١٠١٠

تبكينَ؟ ولِماذا لا تأكُلينَ؟ ولِماذا يَكتَئِبُ قَلبُكِ؟ أما أنا خَيرٌ لكِ مِنْ عَشرَةِ بَنينَ؟».

فقامَتْ حَنَّةُ بَعدَما أكلوا في شيلوهَ وبَعدَما شَرِبوا، وعالي الكاهِنُ جالِسٌ علَى الكُرسيِّ عِندَ قائمَةِ (باب) هَيكلِ الرَّبِّ، وهي مُرَّةُ النَّفسِ. فصَلَّتْ إلَى الرَّبِّ، وبَكَتْ بُكاءً، ونَذَرَتْ نَذرًا وقالَتْ: «يا رَبَّ الجُنودِ، إنْ نَظَرتَ نَظَرًا إلَى مَذَلَّةِ أمَتِكَ، وذَكَرتَني ولَمْ تنسَ أمَتَكَ بل أعطَيتَ أمَتَكَ زَرعَ بَشَرٍ (أولاد)، فإنّي أُعطيهِ للرَّبِّ كُلَّ أيّامِ حَياتِهِ، ولا يَعلو رأسَهُ موسَى (لا يقص شعره)».

وكانَ إذ أكثَرَتِ الصَّلاةَ أمامَ الرَّبِّ وعالي يُلاحِظُ فاها (فمها). فإنَّ حَنَّةَ كانتْ تتَكلَّمُ في قَلبِها، وشَفَتاها فقط تتَحَرَّكانِ، وصوتُها لَمْ يُسمَعْ، أنَّ عالي ظَنَّها سكرَى. فقالَ لها عالي: «حتَّى مَتَى تسكَرينَ؟ انزِعي خمرَكِ عنكِ».

فأجابَتْ حَنَّةُ وقالَتْ: «لا يا سيِّدي. إنّي امرأةٌ حَزينَةُ الرّوحِ ولَمْ أشرَبْ خمرًا ولا مُسكِرًا، بل أسكُبُ نَفسي أمامَ الرَّبِّ. لا تحسِبْ أمَتَكَ ابنَةَ بَليَّعالَ (إنسانة سيئة)، لأنّي مِنْ كثرَةِ كُربَتي وغَيظي قد تكلَّمتُ إلَى الآنَ».

فأجابَ عالي وقالَ: «اذهَبي بسَلامٍ، وإلهُ إسرائيلَ يُعطيكِ سؤلَكِ الّذي سألتِهِ مِنْ لَدُنهُ». فقالَتْ: «لتَجِدْ جاريَتُكَ نِعمَةً في عَينَيكَ». ثُمَّ مَضَتِ المَرأةُ في طريقِها وأكلَتْ، ولَمْ يَكُنْ وجهُها بَعدُ مُغَيَّرًا.

وبَكَّروا في الصّباحِ وسَجَدوا أمامَ الرَّبِّ، ورَجَعوا وجاءوا إلَى بَيتِهِمْ في الرّامَةِ. وعَرَفَ ألقانَةُ امرأتَهُ حَنَّةَ، والرَّبُّ ذَكَرَها. وكانَ في مَدارِ السَّنَةِ أنَّ حَنَّةَ حَبِلَتْ وولَدَتِ ابنًا ودَعَتِ اسمَهُ صَموئيلَ قائلَةً: «لأنّي مِنَ الرَّبِّ سألتُهُ».

وصَعِدَ الرَّجُلُ ألقانَةُ وجميعُ بَيتِهِ ليَذبَحَ للرَّبِّ الذَّبيحَةَ السَّنَويَّةَ، ونَذرَهُ. ولكن حَنَّةَ لَمْ تصعَدْ لأنَّها قالَتْ لرَجُلِها: «مَتَى فُطِمَ الصَّبيُّ آتي بِهِ ليَتَراءَى أمامَ الرَّبِّ ويُقيمَ هناكَ إلَى الأبدِ». فقالَ لها ألقانَةُ رَجُلُها: «اعمَلي ما يَحسُنُ في عَينَيكِ. امكُثي حتَّى تفطِميهِ. إنَّما الرَّبُّ يُقيمُ كلامَهُ». فمَكَثَتِ المَرأةُ وأرضَعَتِ ابنَها حتَّى فطَمَتهُ.

ثُمَّ حينَ فطَمَتهُ أصعَدَتهُ معها بثَلاثَةِ ثيرانٍ وإيفَةِ دَقيقٍ وزِقِّ خمرٍ، وأتَتْ بِهِ إلَى الرَّبِّ في شيلوهَ والصَّبيُّ صَغيرٌ. فذَبَحوا الثَّوْرَ وجاءوا بالصَّبيِّ إلَى عالي. وقالَتْ: «أسألُكَ يا سيِّدي. حَيَّةٌ هي نَفسُكَ يا سيِّدي، أنا المَرأةُ الّتي وقَفَتْ لَدَيكَ هنا تُصَلّي إلَى الرَّبِّ. لأجلِ هذا الصَّبيِّ صَلَّيتُ فأعطانيَ الرَّبُّ سؤليَ الّذي سألتُهُ مِنْ لَدُنهُ. وأنا أيضًا قد أعَرتُهُ للرَّبِّ. جميعَ أيّامِ حَياتِهِ هو عاريَّةٌ للرَّبِّ (عطية للرب)». وسَجَدَ هناكَ للرَّبِّ.

فصَلَّتْ حَنَّةُ وقالَتْ:

«فرِحَ قَلبي بالرَّبِّ.
ارتَفَعَ قَرني (مقامي) بالرَّبِّ.
اتَّسَعَ فمي علَى أعدائي،
لأنّي قد ابتَهَجتُ بخَلاصِكَ.
ليس قُدّوسٌ مِثلَ الرَّبِّ،
لأنَّهُ ليس غَيرَكَ،
وليس صَخرَةٌ مِثلَ إلهِنا.

وعَمِلَتْ لهُ أُمُّهُ جُبَّةً صَغيرَةً وأصعَدَتها لهُ مِنْ سنَةٍ إلَى سنَةٍ عِندَ صُعودِها مع رَجُلِها لذَبحِ الذَّبيحَةِ السَّنَويَّةِ. وبارَكَ عالي ألقانَةَ وامرأتَهُ وقالَ: «يَجعَلْ لكَ الرَّبُّ نَسلاً مِنْ هذِهِ المَرأةِ بَدَلَ العاريَّةِ الّتي أعارَتْ

للرَّبِّ». وذَهَبا إلَى مَكانِهِما. ولَمّا افتَقَدَ الرَّبُّ حَنَّةَ حَبِلَتْ وولَدَتْ ثَلاثَةَ بَنينَ وبنتَينِ. وكبُرَ الصَّبيُّ صَموئيلُ عِندَ الرَّبِّ.

وكانَ الصَّبيُّ صَموئيلُ يَخدِمُ الرَّبَّ أمامَ (تحت إشراف) عالي. وكانتْ كلِمَةُ الرَّبِّ عَزيزَةً (نادرة) في تِلكَ الأيّامِ. لَمْ تكُنْ رؤيا كثيرًا. وكانَ في ذلكَ الزَّمانِ إذ كانَ عالي مُضطَجِعًا في مَكانِهِ وعَيناهُ ابتَدأتا تضعُفانِ لَمْ يَقدِرْ أنْ يُبصِرَ. وقَبلَ أنْ يَنطَفِيءَ سِراجُ اللهِ (المنارة الذهبية التي في القدس)، وصَموئيلُ مُضطَجِعٌ في هَيكلِ الرَّبِّ الّذي فيهِ تابوتُ اللهِ، أنَّ الرَّبَّ دَعا صَموئيلَ، فقالَ: «هأنَذا». ورَكَضَ إلَى عالي وقالَ: «هأنَذا لأنَّكَ دَعَوْتَني». فقالَ: «لَمْ أدعُ. ارجِعِ اضطَجِعْ». فذَهَبَ واضطَجَعَ.

ثُمَّ عادَ الرَّبُّ ودَعا أيضًا صَموئيلَ. فقامَ صَموئيلُ وذَهَبَ إلَى عالي وقالَ: «هأنَذا لأنَّكَ دَعَوْتَني». فقالَ: «لَمْ أدعُ يا ابني. ارجِعِ اضطَجِعْ». ولَمْ يَعرِفْ صَموئيلُ الرَّبَّ بَعدُ، ولا أُعلِنَ لهُ كلامُ الرَّبِّ بَعدُ.

وعادَ الرَّبُّ فدَعا صَموئيلَ ثالِثَةً. فقامَ وذَهَبَ إلَى عالي وقالَ: «هأنَذا لأنَّكَ دَعَوْتَني». ففَهِمَ عالي أنَّ الرَّبَّ يَدعو الصَّبيَّ. فقالَ عالي لصَموئيلَ: «اذهَبِ اضطَجِعْ، ويكونُ إذا دَعاكَ تقولُ: تكلَّمْ يا رَبُّ لأنَّ عَبدَكَ سامِعٌ». فذَهَبَ صَموئيلُ واضطَجَعَ في مَكانِهِ.

فجاءَ الرَّبُّ ووقَفَ ودَعا كالمَرّاتِ الأوَلِ: «صَموئيلُ، صَموئيلُ». فقالَ صَموئيلُ: «تكلَّمْ لأنَّ عَبدَكَ سامِعٌ». فقالَ الرَّبُّ لصَموئيلَ: «هوذا أنا فاعِلٌ أمرًا في إسرائيلَ كُلُّ مَنْ سمِعَ بهِ تطِنُّ أُذُناهُ (يُذهل). في ذلكَ اليومِ أُقيمُ علَى عالي كُلَّ ما تكلَّمتُ بهِ علَى بَيتِهِ. أبتَدِئُ وأُكَمِّلُ. وقَدْ أخبَرتُهُ بأنّي أقضي علَى بَيتِهِ إلَى الأبدِ مِنْ أجلِ الشَّرِّ الّذي يَعلَمُ أنَّ بَنيهِ قد أوجَبوا بِهِ اللَّعنَةَ (جلبوا به الشر) علَى أنفُسِهِمْ، ولَمْ يَردَعهُمْ. ولِذلكَ أقسَمتُ لبَيتِ عالي أنَّهُ لا يُكَفَّرُ عن شَرِّ بَيتِ عالي بذَبيحَةٍ أو بتقدِمَةٍ إلَى الأبدِ».

واضطَجَعَ صَموئيلُ إلَى الصّباحِ، وفَتَحَ أبوابَ بَيتِ الرَّبِّ. وخافَ صَموئيلُ أنْ يُخبِرَ عاليَ بالرّؤيا. فدَعا عالي صَموئيلَ وقالَ: «يا صَموئيلُ ابني» فقالَ: «هأنَذا». فقالَ: «ما الكلامُ الّذي كلَّمَكَ بهِ؟ لا تُخفِ عَنّي. هكذا يَعمَلُ لكَ اللهُ وهكذا يَزيدُ إنْ أخفَيتَ عَنّي كلِمَةً مِنْ كُلِّ الكلامِ الّذي كلَّمَكَ بهِ». فأخبَرَهُ صَموئيلُ بجميعِ الكلامِ ولَمْ يُخفِ عنهُ. فقالَ: «هو الرَّبُّ. ما يَحسُنُ في عَينَيهِ يَعمَلُ».

وكبِرَ صَموئيلُ وكانَ الرَّبُّ معهُ، ولَمْ يَدَعْ شَيئًا مِنْ جميعِ كلامِهِ يَسقُطُ إلَى الأرضِ. وعَرَفَ جميعُ إسرائيلَ مِنْ دانَ إلَى بئرِ سبعٍ أنَّهُ قد اؤتُمِنَ صَموئيلُ نَبيًّا للرَّبِّ. وعادَ الرَّبُّ يتَراءَى (يظهر ويستعلن نفسه) في شيلوهَ، لأنَّ الرَّبَّ استَعلَنَ لصَموئيلَ في شيلوهَ بكلِمَةِ الرَّبِّ. وكانَ كلامُ صَموئيلَ إلَى جميعِ إسرائيلَ.

وخرجَ إسرائيلُ لِلقاءِ الفِلِسطينيّينَ للحَربِ، ونَزَلوا عِندَ حَجَرِ المَعونَةِ، وأمّا الفِلِسطينيّونَ فنَزلوا في أفيقَ. واصطَفَّ الفِلِسطينيّونَ لِلقاءِ إسرائيلَ، واشتَبَكَتِ الحَربُ فانكَسَرَ إسرائيلُ أمامَ الفِلِسطينيّينَ، وضَرَبوا مِنَ الصَّفِّ في الحَقلِ نَحوَ أربَعَةِ آلافِ رَجُلٍ. فجاءَ الشَّعبُ إلَى المَحَلَّةِ. وقالَ شُيوخُ إسرائيلَ: «لماذا كسَّرَنا اليومَ الرَّبُّ أمامَ الفِلِسطينيّينَ؟ لنأخُذْ لأنفُسِنا مِنْ شيلوهَ تابوتَ عَهدِ الرَّبِّ فيَدخُلَ في وسَطِنا ويُخَلِّصَنا مِنْ يَدِ أعدائنا».

فأرسَلَ الشَّعبُ إلَى شيلوهَ وحَمَلوا مِنْ هناكَ تابوتَ عَهدِ رَبِّ الجُنودِ الجالِسِ علَى الكَروبيمِ. وكانَ هناكَ ابنا عالي حُفني وفينَحاسُ مع تابوتِ عَهدِ اللهِ. وكانَ عِندَ دُخول تابوتِ عَهدِ الرَّبِّ إلَى المَحَلَّةِ أنَّ جميعَ إسرائيلَ هَتَفوا هُتافًا عظيمًا حتَّى ارتَجَّتِ الأرضُ.

فسمِعَ الفِلِسطينيّونَ صوتَ الهُتافِ فقالوا: «ما هو صوتُ هذا

الهُتافِ العظيمِ في مَحَلَّةِ العِبرانيّينَ؟» وعَلِموا أنَّ تابوتَ الرَّبِّ جاءَ إلَى المَحَلَّةِ. فخافَ الفِلِسطينيّونَ لأنَّهُمْ قالوا: «قد جاءَ اللهُ إلَى المَحَلَّةِ». وقالوا: «ويلٌ لنا لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثلُ هذا منذُ أمسِ ولا ما قَبلهُ! ويلٌ لنا! مَنْ يُنقِذُنا مِنْ يَدِ هؤُلاءِ الآلِهَةِ القادِرينَ؟ هؤُلاءِ هُمُ الآلِهَةُ الّذينَ ضَرَبوا مِصرَ بجميعِ الضَّرَباتِ في البَرّيَّةِ. تشَدَّدوا وكونوا رِجالاً أيُّها الفِلِسطينيّونَ لئَّلا تُستَعبَدوا للعِبرانيّينَ كما استُعبِدوا هُم لكُمْ. فكونوا رِجالاً وحارِبوا».

فحارَبَ الفِلِسطينيّونَ، وانكَسَرَ إسرائيلُ وهَرَبوا كُلُّ واحِدٍ إلَى خَيمَتِهِ. وكانتِ الضَّربَةُ عظيمَةً جِدًّا، وسَقَطَ مِنْ إسرائيلَ ثَلاثونَ ألفَ راجِلٍ. وأُخِذَ تابوتُ اللهِ، وماتَ ابنا عالي حُفني وفينَحاسُ.

فرَكَضَ رَجُلٌ مِنْ بَنيامينَ مِنَ الصَّفِّ وجاءَ إلَى شيلوهَ في ذلكَ اليومِ وثيابُهُ مُمَزَّقَةٌ وتُرابٌ علَى رأسِهِ. ولَمّا جاءَ، فإذا عالي جالِسٌ علَى كُرسيٍّ بجانِبِ الطريقِ يُراقِبُ، لأنَّ قَلبَهُ كانَ مُضطَرِبًا لأجلِ تابوتِ اللهِ. ولَمّا جاءَ الرَّجُلُ ليُخبِرَ في المدينةِ صَرَخَتِ المدينةُ كُلُّها.

فسمِعَ عالي صوتَ الصُّراخِ فقالَ: «ما هو صوتُ الضَّجيجِ هذا؟» فأسرَعَ الرَّجُلُ وأخبَرَ عاليَ. وكانَ عالي ابنَ ثَمانٍ وتِسعينَ سنَةً، وقامَتْ (ضعفت) عَيناهُ ولَمْ يَقدِرْ أنْ يُبصِرَ. فقالَ الرَّجُلُ لعالي: «أنا جِئتُ مِنَ الصَّفِّ، وأنا هَرَبتُ اليومَ مِنَ الصَّفِّ». فقالَ: «كيفَ كانَ الأمرُ يا ابني؟».

فأجابَ المُخَبِّرُ وقالَ: «هَرَبَ إسرائيلُ أمامَ الفِلِسطينيّينَ وكانتْ أيضًا كسرَةٌ عظيمَةٌ في الشَّعبِ، وماتَ أيضًا ابناكَ حُفني وفينَحاسُ، وأُخِذَ تابوتُ اللهِ». وكانَ لَمّا ذَكَرَ تابوتَ اللهِ، أنَّهُ سقَطَ عن الكُرسيِّ إلَى الوَراءِ إلَى جانِبِ البابِ، فانكَسَرَتْ رَقَبَتُهُ وماتَ، لأنَّهُ كانَ رَجُلاً شَيخًا وثَقيلاً. وقَدْ قَضَى (كان قاضيًا) لإسرائيلَ أربَعينَ سنَةً.

بدون شك خبر موت ابني عالي صدمه، ولكن خبر فقدان تابوت العهد كان صاعقة أنهت حياته. فتابوت العهد الذي يمثل الحضور الإلهي بالنسبة لشعب الله، أصبح في يد فلسطينيين وثنيين، عرفوا أن اقتنائهم للتابوت يُعد انتصارًا، لذلك على الفور وضعوا تابوت العهد في معبد للإله داجون، ولكن الله لا يمكن معاملته معاملة الأصنام، فأظهر لهم أنه الإله الواحد الحقيقي. لهذا وجدوا رأس داجون ويداه محطمة على عتبة المعبد، وبعدها أصيبوا بالبواسير، مما دفعهم بعد سبعة أشهر من المعاناة إلى وضع التابوت على عربة وإرجاعه للإسرائيليين.

ووصل التابوت إلى قرية على الحدود بين الفلسطينيين والإسرائيليين اسمها قرية يعاريم، وبقي هناك لمدة ٢٠ سنة. في هذا الوقت كان صموئيل النبي يؤكد على ضرورة الرجوع إلى عبادة الإله الحقيقي والبُعد عن الممارسات الوثنية. كما قاد بني إسرائيل في معارك ناجحة وانتصارات على الفلسطينيين. ولكن الشعب المتمرد أصر على أن وجود ملك لهم مثل باقي الشعوب سيحل لهم الكثير من المشاكل.

وكانَ لَمّا شاخَ صَموئيلُ أَنَّهُ جَعَلَ بَنيهِ قُضاةً لإسرائيلَ. وكانَ اسمُ ابنِهِ البِكرِ يوئيلَ، واسمُ ثانيهِ أبيّا. كانا قاضيَينِ في بئرِ سبعٍ. ولَمْ يَسلُكِ ابناهُ في طريقِهِ، بل مالا وراءَ المَكسَبِ، وأَخَذا رَشوَةً وعَوَّجا القَضاءَ.

فاجتَمَعَ كُلُّ شُيوخِ إسرائيلَ وجاءوا إلَى صَموئيلَ إلَى الرّامَةِ وقالوا لهُ: «هوذا أنتَ قد شِختَ، وابناكَ لَمْ يَسيرا في طريقِكَ. فالآنَ اجعَلْ لنا مَلِكًا يَقضي لنا كسائرِ الشُّعوبِ». فساءَ الأمرُ في عَينَيْ صَموئيلَ إذ قالوا: «أعطِنا مَلِكًا يَقضي لنا». وصَلَّى صَموئيلُ إلَى الرَّبِّ.

فقالَ الرَّبُّ لصَموئيلَ: «اسمَعْ لصوتِ الشَّعبِ في كُلِّ ما يقولونَ لكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرفُضوكَ أنتَ بل إيّايَ رَفَضوا حتَّى لا أملِكَ علَيهِمْ.

حَسَبَ كُلِّ أعمالِهِمِ الّتي عَمِلوا مِنْ يومِ أصعَدتُهُمْ مِنْ مِصرَ إلَى هذا اليومِ وتَرَكوني وعَبَدوا آلِهَةً أُخرَى، هكذا هُم عامِلونَ بكَ أيضًا. فالآنَ اسمَعْ لصوتِهِمْ. ولكن أشهِدَنَّ علَيهِمْ (حذرهم) وأخبِرهُمْ بقَضاءِ (بمتطلبات) المَلِكِ الّذي يَملِكُ علَيهِمْ».

فكلَّمَ صَموئيلُ الشَّعبَ الّذينَ طَلَبوا مِنهُ مَلِكًا بجميعِ كلامِ الرَّبِّ، وقالَ: «هذا يكونُ قَضاءُ المَلِكِ الّذي يَملِكُ علَيكُمْ: يأخُذُ بَنيكُمْ ويَجعَلُهُمْ لنَفسِهِ، لمَراكِبِهِ وفُرسانِهِ، فيَركُضونَ أمامَ مَراكِبِهِ. ويَجعَلُ لنَفسِهِ رؤَساءَ أُلوفٍ ورؤَساءَ خَماسينَ، فيَحرُثونَ حَراثَتَهُ ويَحصُدونَ حَصادَهُ، ويَعمَلونَ عُدَّةَ حَربِهِ وأدَواتِ مَراكِبِهِ. ويأخُذُ بَناتِكُمْ عَطّاراتٍ (صانعات للعطور) وطَبّاخاتٍ وخَبّازاتٍ. ويأخُذُ حُقولكُمْ وكُرومَكُمْ وزَيتونَكُمْ، أجوَدَها ويُعطيها لعَبيدِهِ. ويُعَشِّرُ (يأخذ عشور) زُروعَكُمْ وكُرومَكُمْ، ويُعطي لخِصيانِهِ (حاشيته) وعَبيدِهِ. ويأخُذُ عَبيدَكُمْ وجَواريَكُمْ وشُبّانَكُمُ الحِسانَ وحَميرَكُمْ ويَستَعمِلُهُمْ لشُغلِهِ. ويُعَشِّرُ غَنَمَكُمْ وأنتُمْ تكونونَ لهُ عَبيدًا. فتصرُخونَ في ذلكَ اليومِ مِنْ وجهِ مَلِكِكُمُ الّذي اختَرتُموهُ لأنفُسِكُمْ، فلا يَستَجيبُ لكُمُ الرَّبُّ في ذلكَ اليومِ».

فأبَى الشَّعبُ أنْ يَسمَعوا لصوتِ صَموئيلَ، وقالوا: «لا بل يكونُ علَينا مَلِكٌ، فنَكونُ نَحنُ أيضًا مِثلَ سائرِ الشُّعوبِ، ويَقضي لنا مَلِكُنا ويَخرُجُ أمامَنا (يقودنا) ويُحارِبُ حُروبَنا».

فسمِعَ صَموئيلُ كُلَّ كلامِ الشَّعبِ وتكلَّمَ بهِ في أُذُنَي الرَّبِّ. فقالَ الرَّبُّ لصَموئيلَ: «اسمَعْ لصوتِهِمْ ومَلِّكْ علَيهِمْ مَلِكًا». فقالَ صَموئيلُ لرِجالِ إسرائيلَ: «اذهَبوا كُلُّ واحِدٍ إلَى مَدينَتِهِ».

وكانَ رَجُلٌ مِنْ بَنيامينَ اسمُهُ قَيسُ بنُ أبيئيلَ بنِ صَرورَ بنِ بَكورَةَ بنِ أفيحَ، ابنُ رَجُلٍ بَنياميني جَبّارَ بأسٍ. وكانَ لهُ ابنٌ اسمُهُ شاوُلُ، شابٌّ

وحَسَنٌ، ولَمْ يَكُنْ رَجُلٌ في بَني إسرائيلَ أحسَنَ مِنهُ. مِنْ كتِفِهِ فما فوقُ كانَ أطوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعبِ. فضَلَّتْ أُتُنُ (أنثى الحمار) قَيسَ أبي شاوُلَ. فقالَ قَيسُ لشاوُلَ ابنِهِ: «خُذْ معكَ واحِدًا مِنَ الغِلمانِ وقُمِ اذهَبْ فتِّشْ علَى الأُتُنِ». فعَبَرَ في جَبَلِ أفرايِمَ، ثُمَّ عَبَرَ في أرضِ شَليشَةَ فلَمْ يَجِدها. ثُمَّ عَبَرا في أرضِ شَعَليمَ فلَمْ توجَدْ. ثُمَّ عَبَرا في أرضِ بَنيامينَ فلَمْ يَجِداها.

ولَمّا دَخَلا أرضَ صوفٍ قالَ شاوُلُ لغُلامِهِ الّذي معهُ: «تعالَ نَرجِعْ لئَلّا يترُكَ أبي الأُتُنَ ويَهتَمَّ بنا (يقلق علينا)». فقالَ لهُ: «هوذا رَجُلُ اللهِ في هذِهِ المدينةِ، والرَّجُلُ مُكَرَّمٌ، كُلُّ ما يقولُهُ يَصيرُ. لنَذهَبِ الآنَ إلَى هناكَ لَعَلَّهُ يُخبِرُنا عن طريقِنا الّتي نَسلُكُ فيها».

فقالَ شاوُلُ لغُلامِهِ: «كلامُكَ حَسَنٌ. هَلُمَّ نَذهَبْ». فذَهَبا إلَى المدينةِ الّتي فيها رَجُلُ اللهِ.

وفيما هُما آتيانِ في وسَطِ المدينةِ إذا بصَموئيلَ خارِجٌ لِلقائِهِما ليَصعَدَ إلَى المُرتَفَعَةِ.

والرَّبُّ كشَفَ أُذُنَ صَموئيلَ قَبلَ مَجيءِ شاوُلَ بيومٍ قائلًا: «غَدًا في مِثلِ الآنَ أُرسِلُ إليكَ رَجُلًا مِنْ أرضِ بَنيامينَ، فامسَحهُ (قم بتنصيبه) رَئيسًا لشَعبي إسرائيلَ، فيُخَلِّصَ شَعبي مِنْ يَدِ الفِلِسطينيّينَ، لأنّي نَظَرتُ إلَى شَعبي لأنَّ صُراخَهُمْ قد جاءَ إليَّ».

فلَمّا رأى صَموئيلُ شاوُلَ أجابَهُ الرَّبُّ: «هوذا الرَّجُلُ الّذي كلَّمتُكَ عنهُ. هذا يَضبِطُ (يحكم) شَعبي». فتقَدَّمَ شاوُلُ إلَى صَموئيلَ في وسَطِ البابِ (باب المدينة) وقالَ: «أطلُبُ إليكَ: أخبِرني أين بَيتُ الرّائي؟».

فأجابَ صَموئيلُ شاوُلَ وقالَ: «أنا الرّائي. اِصعَدا أمامي إلَى المُرتَفَعَةِ فتأكُلا مَعيَ اليومَ، ثُمَّ أُطلِقَكَ صباحًا وأُخبِرَكَ بكُلِّ ما في

قَلبِكَ. وأمّا الأُتُنُ الضّالّةُ لكَ منذُ ثَلاثَةِ أيّامٍ فلا تضَعْ قَلبَكَ علَيها لأنّها قد وُجِدَتْ. ولِمَنْ كُلُّ شَهيِّ إسرائيلَ؟ أليس لكَ ولِكُلِّ بَيتِ أبيكَ؟».

فأجابَ شاوُلُ وقالَ: «أما أنا بَنياميني مِنْ أصغَرِ أسباطِ إسرائيلَ، وعَشيرَتي أصغَرُ كُلِّ عَشائرِ أسباطِ بَنيامينَ؟ فلماذا تُكلِّمُني بمِثلِ هذا الكلامِ؟».

فأخَذَ صَموئيلُ قِنّينَةَ الدُّهنِ (قارورة زيت المسحة) وصَبَّ علَى رأسِهِ وقَبَّلَهُ وقالَ: «أليس لأنَّ الرَّبَّ قد مَسَحَكَ علَى ميراثِهِ رَئيسًا؟ في ذَهابِكَ اليومَ مِنْ عِندي تُصادِفُ رَجُلَينِ عِندَ قَبرِ راحيلَ، في تُخم بَنيامينَ في صَلصَحَ، فيقولانِ لكَ: قد وُجِدَتِ الأُتُنُ، الّتي ذَهَبتَ تُفَتِّشُ علَيها، وهوذا أبوكَ قد ترَكَ أمرَ الأُتُنِ واهتَمَّ بكُما قائلًا: ماذا أصنَعُ لابني؟ بَعدَ ذلكَ تأتي إلَى جِبعَةِ اللهِ حَيثُ أنصابُ (مذابح الأصنام) الفِلِسطينيّينَ. ويكونُ عِندَ مَجيئكَ إلَى هناكَ إلَى المدينةِ أنَّكَ تُصادِفُ زُمرَةً مِنَ الأنبياءِ نازلينَ مِنَ المُرتَفَعَةِ وأمامَهُمْ رَبابٌ ودُفٌّ ونايٌ وعودٌ وهُم يتَنبّأونَ. فيَحِلُّ علَيكَ روحُ الرَّبِّ فتتَنبّأُ معهُمْ وتَتَحَوَّلُ إلَى رَجُلٍ آخَرَ. وإذا أتَتْ هذِهِ الآياتُ علَيكَ، فافعَلْ ما وجَدَتهُ يَدُكَ، لأنَّ اللهَ معكَ. وكانَ عندما أدارَ كتِفَهُ لكَيْ يَذهَبَ مِنْ عِندِ صَموئيلَ أنَّ اللهَ أعطاهُ قَلبًا آخَرَ، وأتَتْ جميعُ هذِهِ الآياتِ في ذلكَ اليومِ.

واستَدعَى صَموئيلُ الشَّعبَ إلَى الرَّبِّ إلَى المِصفاةِ، وقالَ لبَني إسرائيلَ: «هكذا يقولُ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ: إنّي أصعَدتُ إسرائيلَ مِنْ مِصرَ وأنقَذتُكُمْ مِنْ يَدِ المِصريّينَ ومِنْ يَدِ جميعِ المَمالِكِ الّتي ضايَقَتكُمْ. وأنتُمْ قد رَفَضتُمُ اليومَ إلهَكُمُ الّذي هو مُخَلِّصُكُمْ مِنْ جميعِ الّذينَ يُسيئونَ إلَيكُمْ ويُضايِقونَكُمْ، وقُلتُمْ لهُ: بل تجعَلُ علَينا مَلِكًا. فالآنَ امثُلوا (قفوا) أمامَ الرَّبِّ حَسَبَ أسباطِكُمْ وأُلوفِكُمْ».

فقَدَّمَ صَموئيلُ جميعَ أسباطِ إسرائيلَ، فأُخِذَ سِبطُ بَنيامينَ. ثُمَّ قَدَّمَ سِبطَ بَنيامينَ حَسَبَ عَشائِرِهِ، فأُخِذَتْ عَشيرَةُ مَطري، وأُخِذَ شاوُلُ بنُ قَيسَ. ففَتَّشوا علَيهِ فلَمْ يوجَدْ. فسألوا أيضًا مِنَ الرَّبِّ: «هل يأتي الرَّجُلُ أيضًا إلَى هنا؟» فقالَ الرَّبُّ: «هوذا قد اختَبأَ بَينَ الأمتِعَةِ».

فرَكَضوا وأخَذوهُ مِنْ هناكَ، فوَقَفَ بَينَ الشَّعبِ، فكانَ أطوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعبِ مِنْ كتِفِهِ فما فوقُ. فقالَ صَموئيلُ لجميعِ الشَّعبِ: «أرأيتُمُ الّذي اختارَهُ الرَّبُّ، أنَّهُ ليس مِثلُهُ في جميعِ الشَّعبِ؟» فهَتَفَ كُلُّ الشَّعبِ وقالوا: «ليَحيَ المَلِكُ!».

فكلَّمَ صَموئيلُ الشَّعبَ بقَضاءِ المَملكَةِ، وكتَبَهُ في السِّفرِ ووضَعَهُ أمامَ الرَّبِّ. ثُمَّ أطلَقَ صَموئيلُ جميعَ الشَّعبِ كُلَّ واحِدٍ إلَى بَيتِهِ. وشاوُلُ أيضًا ذَهَبَ إلَى بَيتِهِ إلَى جِبعَةَ، وذَهَبَ معهُ الجَماعَةُ الّتي مَسَّ اللهُ قَلبَها.

اختباء الملك المنتظر بين الأمتعة، ربما يكون أغرب احتفال تنصيب في التاريخ. فحياة شاول تحمل العديد من التناقضات. فرغم أن الله قد اختاره، إلا أنه كان غيورًا، غير صبور، ومتهورًا. ومع ذلك قاد الشعب في الحروب، فالتفوا جميعًا حول ملك واحد قوي، ليوحد الأسباط المتفرقة في أمة واحدة.

وصَعِدَ ناحاشُ العَمّونيُّ ونَزَلَ علَى يابيشِ جِلعادَ. فقالَ جميعُ أهلِ يابيشَ لناحاشَ: «اقطَعْ لنا عَهدًا فنُستَعبَدَ لكَ». فقالَ لهُمْ ناحاشُ العَمّونيُّ: «بهذا أقطَعُ لكُمْ. بتقويرِ كُلِّ عَينٍ يُمنَى لكُمْ وجَعلِ ذلكَ عارًا علَى جميعِ إسرائيلَ». فقالَ لهُ شُيوخُ يابيشَ: «اترُكنا سبعَةَ أيّامٍ فنُرسِلَ رُسُلًا إلَى جميعِ تُخومِ إسرائيلَ. فإنْ لَمْ يوجَدْ مَنْ يُخَلِّصُنا نَخرُجْ إلَيكَ

(نستسلم لك)».

فجاءَ الرُّسُلُ إلَى جِبعَةِ شاوُلَ وتَكلَّموا بهذا الكلام في آذانِ الشَّعبِ، فرَفَعَ كُلُّ الشَّعبِ أصواتَهُمْ وبَكَوْا. وإذا بشاوُلَ آتٍ وراءَ البَقَرِ مِنَ الحَقلِ، فقالَ شاوُلُ: «ما بالُ الشَّعبِ يَبكونَ؟» فقَصّوا علَيهِ كلامَ أهلِ يابيشَ. فحَلَّ روحُ اللهِ علَى شاوُلَ عندما سمِعَ هذا الكلامَ وحَميَ غَضَبُهُ جِدًّا. فأخَذَ فدّانَ (زوج) بَقَرٍ وقَطَّعَهُ، وأرسَلَ إلَى كُلِّ تُخومِ إسرائيلَ بيَدِ الرُّسُلِ قائلًا: «مَنْ لا يَخرُجُ وراءَ شاوُلَ ووراءَ صَموئيلَ، فهكذا يُفعَلُ ببَقَرِهِ». فوَقَعَ رُعبُ الرَّبِّ علَى الشَّعبِ، فخرجوا كرَجُلٍ واحِدٍ. وعَدَّهُمْ في بازَقَ، فكانَ بَنو إسرائيلَ ثَلاثَ مِئَةِ ألفٍ، ورِجالُ يَهوذا ثَلاثينَ ألفًا. وقالوا للرُّسُلِ الّذينَ جاءوا: «هكذا تقولونَ لأهلِ يابيشَ جِلعادَ: غَدًا عندما تحمَى الشَّمسُ (وقت الظهيرة) يكونُ لكُمْ خَلاصٌ». فأتَى الرُّسُلُ وأخبَروا أهلَ يابيشَ ففَرِحوا. وقالَ أهلُ يابيشَ: «غَدًا نَخرُجُ إلَيكُمْ فتفعَلونَ بنا حَسَبَ كُلِّ ما يَحسُنُ في أعيُنِكُمْ».

وكانَ في الغَدِ أنَّ شاوُلَ جَعَلَ الشَّعبَ ثَلاثَ فِرَقٍ، ودَخَلوا في وسَطِ المَحَلَّةِ عِندَ سحَرِ الصُّبحِ (قبل الفجر) وضَرَبوا العَمّونيّينَ حتَّى حَميَ النَّهارُ. والّذينَ بَقوا تشَتَّتوا حتَّى لَمْ يَبقَ مِنهُمُ اثنانِ مَعًا.

وقالَ الشَّعبُ لصَموئيلَ: «مَنْ هُمُ الّذينَ يقولونَ: هل شاوُلُ يَملِكُ علَينا؟ ايتوا بالرِّجالِ فنَقتُلُهُمْ». فقالَ شاوُلُ: «لا يُقتَلْ أحَدٌ في هذا اليومِ، لأنَّهُ في هذا اليومِ صَنَعَ الرَّبُّ خَلاصًا في إسرائيلَ».

وقالَ صَموئيلُ للشَّعبِ: «هَلُمّوا نَذهَبْ إلَى الجِلجالِ ونُجَدِّدْ هناكَ المَملكَةَ». فذَهَبَ كُلُّ الشَّعبِ إلَى الجِلجالِ ومَلَّكوا هناكَ شاوُلَ أمامَ الرَّبِّ في الجِلجالِ، وذَبَحوا هناكَ ذَبائحَ سلامَةٍ أمامَ الرَّبِّ. وفَرِحَ هناكَ شاوُلُ وجميعُ رِجالِ إسرائيلَ جِدًّا.

وقالَ صَموئيلُ لكُلِّ إسرائيلَ: «هأنَذا قد سمِعتُ لصوتِكُمْ في كُلِّ

ما قُلتُمْ لي ومَلَّكتُ علَيكُمْ مَلِكًا. والآنَ هوذا المَلِكُ يَمشي أمامَكُمْ.

ولَمّا رأيتُمْ ناحاشَ مَلِكَ بَني عَمّونَ آتيًا علَيكُمْ، قُلتُمْ لي: لا بل يَملِكُ علَينا مَلِكٌ. والرَّبُّ إلهُكُمْ مَلِكُكُمْ. فالآنَ هوذا المَلِكُ الّذي اخترتُموهُ، الّذي طَلَبتُموهُ، وهوذا قد جَعَلَ الرَّبُّ علَيكُمْ مَلِكًا. إنِ اتَّقَيتُمُ الرَّبَّ وعَبَدتُموهُ وسَمِعتُمْ صوتَهُ ولَمْ تعصوا قَوْلَ الرَّبِّ، وكنتُم أنتُمْ والمَلِكُ أيضًا الّذي يَملِكُ علَيكُمْ وراءَ الرَّبِّ إلهِكُمْ. وإنْ لَمْ تسمَعوا صوتَ الرَّبِّ بل عَصَيتُمْ قَوْلَ الرَّبِّ، تكُنْ يَدُ الرَّبِّ علَيكُمْ كما علَى آبائِكُمْ.

فالآنَ امثُلوا أيضًا وانظُروا هذا الأمرَ العظيمَ الّذي يَفعَلُهُ الرَّبُّ أمامَ أعيُنِكُمْ. أما هو حَصادُ الحِنطَةِ اليومَ؟ فإنّي أدعو الرَّبَّ فيُعطي رُعودًا ومَطَرًا فتعلَمونَ وتَرَوْنَ أنَّهُ عظيمٌ شَرُّكُمُ الّذي عَمِلتُموهُ في عَينَيِ الرَّبِّ بطَلَبِكُمْ لأنفُسِكُمْ مَلِكًا». فدَعا صَموئيلُ الرَّبَّ فأعطَى رُعودًا ومَطَرًا في ذلكَ اليومِ. وخافَ جميعُ الشَّعبِ الرَّبَّ وصَموئيلَ جِدًّا.

وقالَ جميعُ الشَّعبِ لصَموئيلَ: «صَلِّ عن عَبيدِكَ إلَى الرَّبِّ إلهِكَ حتَّى لا نَموتَ، لأنَّنا قد أضَفنا إلَى جميعِ خطايانا شَرًّا بطَلَبِنا لأنفُسِنا مَلِكًا». فقالَ صَموئيلُ للشَّعبِ: «لا تخافوا. إنَّكُمْ قد فعَلتُمْ كُلَّ هذا الشَّرِّ، ولكن لا تحيدوا عن الرَّبِّ، بل اعبُدوا الرَّبَّ بكُلِّ قُلوبكُمْ، ولا تحيدوا. لأنَّ ذلكَ وراءَ الأباطيلِ الّتي لا تُفيدُ ولا تُنقِذُ، لأنَّها باطِلَةٌ. لأنَّهُ لا يترُكُ الرَّبُّ شَعبَهُ مِنْ أجلِ اسمِهِ العظيمِ. لأنَّهُ قد شاءَ الرَّبُّ أنْ يَجعَلَكُمْ لهُ شَعبًا. وأمّا أنا فحاشا لي أنْ أُخطِئَ إلَى الرَّبِّ فأكُفَّ عن الصَّلاةِ مِنْ أجلِكُمْ، بل أُعَلِّمُكُمُ الطريقَ الصّالِحَ المُستَقيمَ. إنَّما اتَّقوا الرَّبَّ واعبُدوهُ بالأمانَةِ مِنْ كُلِّ قُلوبكُمْ، بل انظُروا فِعلهُ الّذي عَظَّمَهُ معكُمْ. وإنْ فعَلتُمْ شَرًّا فإنَّكُمْ تهلِكونَ أنتُمْ ومَلِكُكُمْ جميعًا».

بعد تحذير صموئيل النبي الشديد لشاول والشعب، حاول شاول أن يتبع هذه التعليمات وأن يقود الشعب بأمانة، ولكنه كان في كل موقف يثبت أنه متأخر خطوة عن المنطق السليم. لقد قرر شاول أن يخوض إحدى الحروب، ولكنه لم يُقدر قوة العدو، واندفع بتهور معتمدًا على فكره الذاتي، ولم ينتظر حتى يصل صموئيل النبي ليسمع منه صوت الرب. تُرى هل يُكتب النجاح لملك مثل هذا؟

كانَ شاوُلُ ابنَ سنَةٍ في مُلكِهِ، ومَلكَ سنَتَينِ علَى إسرائيلَ. واختارَ شاوُلُ لنَفسِهِ ثَلاثَةَ آلافٍ مِنْ إسرائيلَ، فكانَ ألفانِ مع شاوُلَ في مِخماسَ وفي جَبَلِ بَيتِ إيلَ، وألفٌ كانَ مع يوناثانَ في جِبعَةِ بَنيامينَ. وأمّا بَقيَّةُ الشَّعبِ فأرسَلهُمْ كُلَّ واحِدٍ إلَى خَيمَتِهِ. وضَرَبَ يوناثانُ نُصبَ الفِلِسطينيّينَ الّذي في جِبعَ، فسمِعَ الفِلِسطينيّونَ. وضَرَبَ شاوُلُ بالبوقِ في جميعِ الأرضِ قائلًا: «ليَسمَعِ العِبرانيّونَ». فسمِعَ جميعُ إسرائيلَ قَوْلًا: «قد ضَرَبَ شاوُلُ نُصبَ الفِلِسطينيّينَ، وأيضًا قد أنتَنَ (أصبح مكروه) إسرائيلُ لَدَى الفِلِسطينيّينَ». فاجتَمَعَ الشَّعبُ وراءَ شاوُلَ إلَى الجِلجالِ.

وتَجَمَّعَ الفِلِسطينيّونَ لمُحارَبَةِ إسرائيلَ، ثَلاثونَ ألفَ مَركَبَةٍ، وسِتَّةُ آلافِ فارِسٍ، وشَعبٌ كالرَّملِ الّذي علَى شاطِئِ البحرِ في الكَثرَةِ. وصَعِدوا ونَزَلوا في مِخماسَ شَرقيَّ بَيتِ آوِنَ. ولَمّا رأى رِجالُ إسرائيلَ أنهُم في ضَنكٍ (ضيق شديد)، لأنَّ الشَّعبَ تضايَقَ، اختَبأَ الشَّعبُ في المَغايرِ والغياضِ والصُّخورِ والصُّروحِ والآبارِ. وبَعضُ العِبرانيّينَ عَبَروا الأردُنَّ إلَى أرضِ جادَ وجِلعادَ. وكانَ شاوُلُ بَعدُ في الجِلجالِ وكُلُّ الشَّعبِ ارتَعَدَ وراءَهُ.

فمَكَثَ سبعَةَ أيّامٍ حَسَبَ ميعادِ صَموئيلَ، ولَمْ يأتِ صَموئيلُ إلَى

الجِلجالِ، والشَّعبُ تفرَّقَ عنهُ. فقالَ شاوُلُ: «قدِّموا إلَيَّ المُحرَقَةَ وذَبائحَ السَّلامَةِ». فأصعَدَ المُحرَقَةَ. وكانَ لَمّا انتَهى مِنْ إصعادِ المُحرَقَةِ إذا صَموئيلُ مُقبِلٌ، فخرجَ شاوُلُ لِلقائهِ ليُبارِكَهُ.

فقالَ صَموئيلُ: «ماذا فعَلتَ؟» فقالَ شاوُلُ: «لأنّي رأيتُ أنَّ الشَّعبَ قد تفرَّقَ عَنّي، وأنتَ لَمْ تأتِ في أيّامِ الميعادِ، والفِلِسطينيّونَ مُتَجَمِّعونَ في مِخماسَ، فقُلتُ: الآنَ يَنزِلُ الفِلِسطينيّونَ إلَيَّ إلَى الجِلجالِ ولَمْ أتَضَرَّعْ إلَى وجهِ الرَّبِّ، فتجَلَّدتُ (تجرأت) وأصعَدتُ المُحرَقَةَ».

فقالَ صَموئيلُ لشاوُلَ: «قد انحَمَقتَ! لَمْ تحفَظْ وصيَّةَ الرَّبِّ إلهِكَ الّتي أمَرَكَ بها، لأنَّهُ الآنَ كانَ الرَّبُّ قد ثَبَّتَ مَملكَتَكَ علَى إسرائيلَ إلَى الأبدِ. وأمّا الآنَ فمَملكَتُكَ لا تقومُ (لن تستمر). قد انتَخَبَ الرَّبُّ لنَفسِهِ رَجُلًا حَسَبَ قَلبِهِ، وأمَرَهُ الرَّبُّ أنْ يترأَّسَ علَى شَعبِهِ. لأنَّكَ لَمْ تحفَظْ ما أمَرَكَ بِهِ الرَّبُّ».

وقالَ صَموئيلُ لشاوُلَ: «إيّايَ أرسَلَ الرَّبُّ لمَسحِكَ مَلِكًا علَى شَعبِهِ إسرائيلَ. والآنَ فاسمَعْ صوتَ كلامِ الرَّبِّ. هكذا يقولُ رَبُّ الجُنودِ: إنّي قد افتَقَدتُ ما عَمِلَ عَماليقُ بإسرائيلَ حينَ وقَفَ لهُ في الطريقِ عِندَ صُعودِهِ مِنْ مِصرَ. فالآنَ اذهَبْ واضرِبْ عَماليقَ، وحَرِّموا كُلَّ ما لهُ ولا تعفُ عنهُمْ بل اقتُلْ رَجُلًا وامرأةً، طِفلًا ورَضيعًا، بَقَرًا وغَنَمًا، جَمَلًا وحِمارًا».

فاستَحضَرَ شاوُلُ الشَّعبَ وعَدَّهُ في طَلايِمَ، مِئَتَيْ ألفِ راجِلٍ، وعَشرَةَ آلافِ رَجُلٍ مِنْ يَهوذا.

وضَرَبَ شاوُلُ عَماليقَ مِنْ حَويلَةَ حتَّى مَجيئكَ إلَى شورَ الّتي مُقابِلَ مِصرَ. وأمسَكَ أجاجَ مَلِكَ عَماليقَ حَيًّا، وحَرَّمَ جميعَ الشَّعبِ بحَدِّ السَّيفِ. وعَفا شاوُلُ والشَّعبُ عن أجاجَ وعَنْ خيارِ الغَنَمِ والبَقَرِ

والثُّنيانِ (الثانية في الأفضلية) والخِرافِ، وعَنْ كُلِّ الجَيِّدِ، ولَمْ يَرضَوْا أنْ يُحَرِّموها. وكُلُّ الأملاكِ المُحتَقَرَةِ والمَهزولَةِ حَرَّموها.

أخطأ شاول مرة أخرى أمام الله. فلقد أعطاه الرب تعليمات واضحة بضرورة تحريم كلّ شيء يخص عماليق، ولكن شاول ورجاله احتفظوا لأنفسهم بكل ما هو جيد، وادّعوا كذبًا بأنهم سوف يقدمون منها ذبائح لله. حزن صموئيل لأن شاول فشل في أن يكون ملكًا يقود شعبه حسب قلب الرب. فأخبر صموئيل شاول بأن فترة ملكه قد انتهت، وأن هناك ملكًا آخر سيجلس على العرش مكانه. ولكن شاول، بسبب إغراء المنصب، قرر أن يقاوم ولا يترك مكانه.

١١

راعي الغنم أصبح ملكًا

فقالَ الرَّبُّ لصَموئيلَ: «حتَّى مَتَى تنوحُ علَى شاوُلَ، وأنا قد رَفَضتُهُ عن أنْ يَملِكَ علَى إسرائيلَ؟ اِملأْ قَرنَكَ دُهنًا وتَعالَ أُرسِلكَ إلَى يَسَّى البَيتَلَحميِّ (الذي من بيت لحم)، لأنّي قد رأيتُ لي في بَنيهِ مَلِكًا».

ففَعَلَ صَموئيلُ كما تكلَّمَ الرَّبُّ وجاءَ إلَى بَيتِ لَحمٍ. فارتَعَدَ شُيوخُ المدينةِ عِندَ استِقبالِهِ وقالوا: «أسَلامٌ مَجيئُكَ؟» فقالَ: «سلامٌ. قد جِئتُ لأذبَحَ للرَّبِّ. تقَدَّسوا وتَعالَوْا مَعي إلَى الذَّبيحَةِ». وقَدَّسَ يَسَّى وبَنيهِ ودَعاهُمْ إلَى الذَّبيحَةِ.

وكانَ لَمّا جاءوا أنَّهُ رأى أليآبَ، فقالَ: «إنَّ أمامَ الرَّبِّ مَسيحَهُ». فقالَ الرَّبُّ لصَموئيلَ: «لا تنظُرْ إلَى مَنظَرِهِ وطول قامَتِهِ لأنّي قد رَفَضتُهُ. لأنَّهُ ليس كما يَنظُرُ الإنسانُ. لأنَّ الإنسانَ يَنظُرُ إلَى العَينَينِ، وأمّا الرَّبُّ فإنَّهُ يَنظُرُ إلَى القَلبِ».

فدَعا يَسَّى أبيناداب وعَبَّرَهُ أمامَ صَموئيلَ، فقالَ: «وهذا أيضًا لَمْ

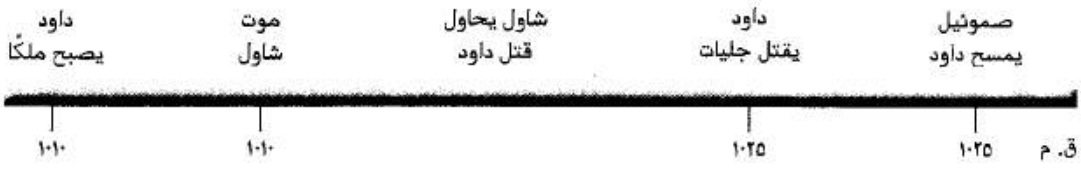

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

يَختَرهُ الرَّبُّ». وعَبَّرَ يَسَّى شَمَّةَ، فقالَ: «وهذا أيضًا لَمْ يَختَرهُ الرَّبُّ». وعَبَّرَ يَسَّى بَنيهِ السَّبعَةَ أمامَ صَموئيلَ، فقالَ صَموئيلُ ليَسَّى: «الرَّبُّ لَمْ يَختَرْ هؤُلاءِ».

وقالَ صَموئيلُ ليَسَّى: «هل كمُلوا الغِلمانُ؟» فقالَ: «بَقيَ بَعدُ الصَّغيرُ وهوذا يَرعَى الغَنَمَ». فقالَ صَموئيلُ ليَسَّى: «أرسِلْ وأتِ بهِ، لأنَّنا لا نَجلِسُ حتَّى يأتيَ إلَى ههنا». فأرسَلَ وأتَى بهِ. وكانَ أشقَرَ مع حَلاوَةِ العَينَينِ وحَسَنَ المَنظَرِ. فقالَ الرَّبُّ: «قُمِ امسَحهُ، لأنَّ هذا هو». فأخَذَ صَموئيلُ قَرنَ الدُّهنِ ومَسَحَهُ في وسَطِ إخوَتِهِ. وحَلَّ روحُ الرَّبِّ علَى داوُدَ مِنْ ذلكَ اليومِ فصاعِدًا. ثُمَّ قامَ صَموئيلُ وذَهَبَ إلَى الرّامَةِ.

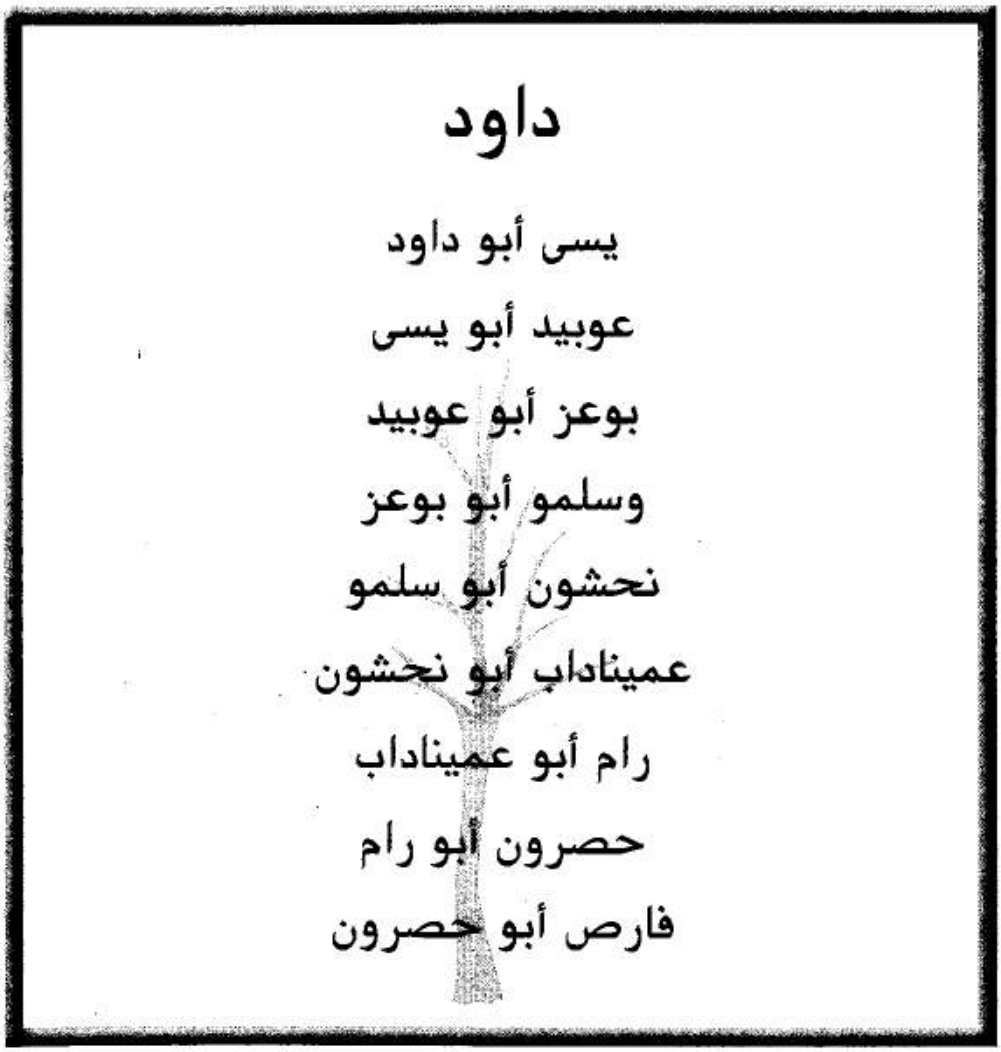

وجَمَعَ الفِلِسطينيّونَ جُيوشَهُمْ للحَربِ، فاجتَمَعوا في سوكوهَ الّتي ليَهوذا، ونَزَلوا بَينَ سوكوهَ وعَزيقَةَ في أفَسِ دَمّيمَ. واجتَمَعَ شاوُلُ ورِجالُ إسرائيلَ ونَزَلوا في وادي البُطمِ، واصطَفّوا للحَربِ لِلقاءِ الفِلِسطينيّينَ. وكانَ الفِلِسطينيّونَ وُقوفًا علَى جَبَلٍ مِنْ هنا، وإسرائيلُ وُقوفًا علَى جَبَلٍ مِنْ هناكَ، والوادي بَينَهُمْ.

فخرجَ رَجُلٌ مُبارِزٌ مِنْ جُيوشِ الفِلِسطينيّينَ اسمُهُ جُلياتُ، مِنْ جَتَّ، طولُهُ سِتُّ أذرُعٍ وشِبرٌ (حوالي ٣ متر)، وعلَى رأسِهِ خوذَةٌ مِنْ نُحاسٍ، وكانَ لابِسًا دِرعًا حَرشَفيًّا (يشبه حراشف الأسماك)، ووزنَ الدِّرعِ خَمسَةُ آلافِ شاقِلٍ (حوالي ٥٠ كجم) نُحاسٍ، وجُرموقا (واقي للساق) نُحاسٍ علَى رِجلَيهِ، ومِزراقُ (رمح صغير) نُحاسٍ بَينَ كتِفَيهِ، وقَناةُ رُمحِهِ كنَوْلِ النَّسّاجينَ، وسِنانُ رُمحِهِ سِتُّ مِئَةِ شاقِلِ حَديدٍ، وحامِلُ التُّرسِ كانَ يَمشي قُدّامَهُ.

فوَقَفَ ونادَى صُفوفَ إسرائيلَ وقالَ لهُمْ: «لماذا تخرُجونَ لتَصطَفّوا للحَربِ؟ أما أنا الفِلِسطينيُّ، وأنتُمْ عَبيدٌ لشاوُلَ؟ اختاروا لأنفُسِكُمْ رَجُلًا ولينَزِلْ إلَيَّ. فإنْ قَدَرَ أنْ يُحارِبَني ويَقتُلَني نَصيرُ لكُمْ عَبيدًا، وإنْ قَدَرتُ أنا علَيهِ وقَتَلتُهُ تصيرونَ أنتُمْ لنا عَبيدًا وتَخدِمونَنا». وقالَ الفِلِسطينيُّ: «أنا عَيَّرتُ (استهزأت) صُفوفَ إسرائيلَ هذا اليومَ. أعطوني رَجُلًا فنَتحارَبَ مَعًا». ولَمّا سمِعَ شاوُلُ وجميعُ إسرائيلَ كلامَ الفِلِسطينيِّ هذا ارتاعوا وخافوا جِدًّا.

وكانَ الفِلِسطينيُّ يتَقَدَّمُ ويَقِفُ صباحًا ومساءً أربَعينَ يومًا. فقالَ يَسَّى لداوُدَ ابنِهِ: «خُذْ لإخوَتِكَ إيفَةً مِنْ هذا الفَريكِ، وهذِهِ العشَرَ الخُبزاتِ واركُضْ إلَى المَحَلَّةِ إلَى إخوَتِكَ. وهذِهِ العشَرَ القِطعاتِ مِنَ الجُبنِ قَدِّمها لرَئيسِ الألفِ، وافتَقِدْ سلامَةَ إخوَتِكَ وخُذْ مِنهُمْ عُربونًا

(دليل سلامتهم)». وكانَ شاوُلُ وهُم وجميعُ رِجالِ إسرائيلَ في وادي البُطمِ يُحارِبونَ الفِلِسطينيّينَ.

فبَكَّرَ داوُدُ صباحًا وتَرَكَ الغَنَمَ مع حارِسٍ، وحَمَّلَ وذَهَبَ كما أمَرَهُ يَسَّى، وأتَى إلَى المِتراس (الحصن)، والجَيشُ خارِجٌ إلَى الاِصطِفافِ وهَتَفوا للحَربِ. واصطَفَّ إسرائيلُ والفِلِسطينيّونَ صَفًّا مُقابِلَ صَفٍّ. فترَكَ داوُدُ الأمتِعَةَ الّتي معهُ بيَدِ حافِظِ الأمتِعَةِ، ورَكَضَ إلَى الصَّفِّ وأتَى وسألَ عن سلامَةِ إخوَتِهِ. وفيما هو يُكلِّمُهُمْ إذا برَجُلٍ مُبارِزٍ اسمُهُ جُلياتُ الفِلِسطينيُّ مِنْ جَتَّ، صاعِدٌ مِنْ صُفوفِ الفِلِسطينيّينَ وتَكلَّمَ بمِثلِ هذا الكلامِ، فسمِعَ داوُدُ. وجميعُ رِجالِ إسرائيلَ لَمّا رأوا الرَّجُلَ هَرَبوا مِنهُ وخافوا جِدًّا.

فقالَ رِجالُ إسرائيلَ: «أرأيتُمْ هذا الرَّجُلَ الصّاعِدَ؟ ليُعَيِّرَ إسرائيلَ هو صاعِدٍ! فيكونُ أنَّ الرَّجُلَ الّذي يَقتُلُهُ يُغنيهِ المَلِكُ غِنًى جَزيلًا، ويُعطيهِ (يزوجه) ابنَتَهُ، ويَجعَلُ بَيتَ أبيهِ حُرًّا في إسرائيلَ».

فكلَّمَ داوُدُ الرِّجالَ الواقِفينَ معهُ قائلًا: «ماذا يُفعَلُ للرَّجُلِ الّذي يَقتُلُ ذلكَ الفِلِسطينيَّ، ويُزيلُ العارَ عن إسرائيلَ؟ لأنَّهُ مَنْ هو هذا الفِلِسطينيُّ الأغلَفُ (غير المختون) حتَّى يُعَيِّرَ صُفوفَ اللهِ الحَيِّ؟» فكلَّمَهُ الشَّعبُ بمِثلِ هذا الكلامِ قائلينَ: «كذا يُفعَلُ للرَّجُلِ الّذي يَقتُلُهُ».

وسَمِعَ أخوهُ الأكبَرُ أليآبُ كلامَهُ مع الرِّجالِ، فحَميَ غَضَبُ أليآبَ علَى داوُدَ وقالَ: «لماذا نَزَلتَ؟ وعلَى مَنْ تركتَ تِلكَ الغُنَيماتِ القَليلَةَ في البَرِّيَّةِ؟ أنا عَلِمتُ كِبرياءَكَ وشَرَّ قَلبِكَ، لأنَّكَ إنَّما نَزَلتَ لكَيْ ترَى الحَربَ».

فقالَ داوُدُ: «ماذا عَمِلتُ الآنَ؟ أما هو كلامٌ؟». وتَحَوَّلَ مِنْ عِندِهِ نَحوَ آخَرَ، وتَكلَّمَ بمِثلِ هذا الكلامِ، فرَدَّ لهُ الشَّعبُ جَوابًا كالجَوابِ الأوَّلِ.

وسُمِعَ الكلامُ الّذي تكلَّمَ بهِ داوُدُ وأخبَروا بهِ أمامَ شاوُلَ، فاستَحضَرَهُ.

فقالَ داوُدُ لشاوُلَ: «لا يَسقُطْ قَلبُ (يخاف) أحَدٍ بسَبَبِهِ. عَبدُكَ يَذهَبُ ويُحارِبُ هذا الفِلِسطينيَّ». فقالَ شاوُلُ لداوُدَ: «لا تستَطيعُ أنْ تذهَبَ إلَى هذا الفِلِسطينيِّ لتُحارِبَهُ لأنَّكَ غُلامٌ وهو رَجُلُ حَربٍ منذُ صِباهُ». فقالَ داوُدُ لشاوُلَ: «كانَ عَبدُكَ يَرعَى لأبيهِ غَنَمًا، فجاءَ أسَدٌ مع دُبٍّ وأخَذَ شاةً مِنَ القَطيعِ، فخرجتُ وراءَهُ وقَتلتُهُ وأنقَذتُها مِنْ فيهِ، ولَمّا قامَ علَيَّ أمسَكتُهُ مِنْ ذَقنِهِ وضَرَبتُهُ فقَتلتُهُ. قَتلَ عَبدُكَ الأسَدَ والدُّبَّ جميعًا. وهذا الفِلِسطينيُّ الأغلَفُ يكونُ كواحِدٍ مِنهُما، لأنَّهُ قد عَيَّرَ صُفوفَ اللهِ الحَيِّ». وقالَ داوُدُ: «الرَّبُّ الّذي أنقَذَني مِنْ يَدِ الأسَدِ ومِنْ يَدِ الدُّبِّ هو يُنقِذُني مِنْ يَدِ هذا الفِلِسطينيِّ». فقالَ شاوُلُ لداوُدَ: «اذهَبْ وليَكُنِ الرَّبُّ معكَ».

وألبَسَ شاوُلُ داوُدَ ثيابَهُ (زي الحرب)، وجَعَلَ خوذَةً مِنْ نُحاسٍ علَى رأسِهِ، وألبَسَهُ دِرعًا. فتقَلَّدَ داوُدُ بسَيفِهِ فوقَ ثيابِهِ وعَزَمَ أنْ يَمشيَ، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ قد جَرَّبَ. فقالَ داوُدُ لشاوُلَ: «لا أقدِرُ أنْ أمشيَ بهذِهِ، لأنّي لَمْ أُجَرِّبها». ونَزَعَها داوُدُ عنهُ.

وأخَذَ عَصاهُ بيَدِهِ، وانتَخَبَ لهُ خَمسَةَ حِجارَةٍ مُلسٍ مِنَ الوادي وجَعَلَها في كِنفِ (كيس) الرُّعاةِ الّذي لهُ، أيْ في الجِرابِ، ومِقلاعَهُ (يشبه النبلة) بيَدِهِ وتَقَدَّمَ نَحوَ الفِلِسطينيِّ.

وذَهَبَ الفِلِسطينيُّ ذاهِبًا واقتَرَبَ إلَى داوُدَ والرَّجُلُ حامِلُ التُّرسِ أمامَهُ. ولَمّا نَظَرَ الفِلِسطينيُّ ورأى داوُدَ استَحقَرَهُ لأنَّهُ كانَ غُلامًا وأشقَرَ جَميلَ المَنظَرِ. فقالَ الفِلِسطينيُّ لداوُدَ: «ألَعَلّي أنا كلبٌ حتَّى أنَّكَ تأتي إلَيَّ بعِصيٍّ؟». ولَعَنَ الفِلِسطينيُّ داوُدَ بآلِهَتِهِ. وقالَ الفِلِسطينيُّ لداوُدَ: «تعالَ إلَيَّ فأُعطيَ لَحمَكَ لطُيورِ السماءِ ووُحوشِ البَرِّيَّةِ».

فقالَ داوُدُ للفِلِسطينيِّ: «أنتَ تأتي إلَيَّ بسَيفٍ وبرُمحٍ وبتُرسٍ، وأنا آتي إلَيكَ باسمِ رَبِّ الجُنودِ إلهِ صُفوفِ إسرائيلَ الّذين عَيَّرتَهُمْ. هذا اليومَ يَحبِسُكَ الرَّبُّ في يَدي، فأقتُلُكَ وأقطَعُ رأسَكَ. وأُعطي جُثَثَ جَيشِ الفِلِسطينيّينَ هذا اليومَ لطُيورِ السماءِ وحَيَواناتِ الأرضِ، فتعلَمُ كُلُّ الأرضِ أنَّهُ يوجَدُ إلهٌ لإسرائيلَ. وتَعلَمُ هذِهِ الجَماعَةُ كُلُّها أنَّهُ ليس بسَيفٍ ولا برُمحٍ يُخَلِّصُ الرَّبُّ، لأنَّ الحَربَ للرَّبِّ وهو يَدفَعُكُمْ ليَدِنا».

وكانَ لَمّا قامَ الفِلِسطينيُّ وذَهَبَ وتَقدَّمَ للِقاءِ داودَ أنَّ داوُدَ أسرَعَ ورَكَضَ نَحوَ الصَّفِّ للِقاءِ الفِلِسطينيِّ. ومَدَّ داوُدُ يَدَهُ إلَى الكِنفِ وأخَذَ مِنهُ حَجَرًا ورَماهُ بالمِقلاعِ، وضَرَبَ الفِلِسطينيَّ في جِبهَتِهِ، فارتَزَّ الحَجَرُ في جِبهَتِهِ، وسَقَطَ علَى وجهِهِ إلَى الأرضِ.

فتمَكَّنَ داوُدُ مِنَ الفِلِسطينيِّ بالمِقلاعِ والحَجَرِ، وضَرَبَ الفِلِسطينيَّ وقَتَلَهُ. ولَمْ يَكُنْ سيفٌ بيَدِ داوُدَ. فرَكَضَ داوُدُ ووقَفَ علَى الفِلِسطينيِّ وأخَذَ سيفَهُ واختَرَطَهُ مِنْ غِمدِهِ (أخرجه من الجراب) وقَتلهُ وقَطَعَ بِهِ رأسَهُ. فلَمّا رأى الفِلِسطينيّونَ أنَّ جَبّارَهُمْ قد ماتَ هَرَبوا.

فقامَ رِجالُ إسرائيلَ ويَهوذا وهَتَفوا ولَحِقوا الفِلِسطينيّينَ حتَّى مَجيئكَ إلَى الوادي، وحتَّى أبوابِ عَقرونَ. فسقَطَتْ قَتلَى الفِلِسطينيّينَ في طريقِ شَعَرايِمَ إلَى جَتَّ وإلَى عَقرونَ. ثُمَّ رَجَعَ بَنو إسرائيلَ مِنْ الإحتِماءِ وراءَ الفِلِسطينيّينَ ونَهَبوا مَحلَّتَهُمْ. وأخَذَ داوُدُ رأسَ الفِلِسطينيِّ وأتَى بِهِ إلَى أورُشَليمَ، ووضَعَ أدَواتِهِ في خَيمَتِهِ.

نال انتصار داود على جليات استحسان وإعجاب الملك شاول. وبعد انتهاء المعركة استفسر شاول من داود عن عائلته، ثم قام بتعيينه موظفًا في القصر الملكي. وبين داود ويوناثان ابن شاول نشأت صداقة قوية، يسودها الحب والإخلاص كما لو كانا أخوين.

وبمرور الوقت ازدادت شهرة داود ومحبة الناس له، فزادت معها الخلافات بينه وبين شاول.

ولَمّا رَجَعَ داوُدُ مِنْ قَتلِ الفِلِسطينيِّ أخَذَهُ أبنَيرُ وأحضَرَهُ أمامَ شاوُلَ ورأسُ الفِلِسطينيِّ بيَدِهِ (بيد داود). فقالَ لهُ شاوُلُ: «ابنُ مَنْ أنتَ يا غُلامُ؟» فقالَ داوُدُ: «ابنُ عَبدِكَ يَسَّى البَيتَلَحميِّ».

وكانَ لَمّا فرَغَ مِنَ الكلامِ مع شاوُلَ أنَّ نَفسَ يوناثانَ تعَلَّقَتْ بنَفسِ داوُدَ، وأحَبَّهُ يوناثانُ كنَفسِهِ. فأخَذَهُ شاوُلُ في ذلكَ اليومِ ولَمْ يَدَعهُ يَرجِعُ إلَى بَيتِ أبيهِ. وقَطَعَ يوناثانُ وداوُدُ عَهدًا لأنَّهُ أحَبَّهُ كنَفسِهِ. وخَلَعَ يوناثانُ الجُبَّةَ الّتي علَيهِ وأعطاها لداوُدَ مع ثيابِهِ وسَيفِهِ وقَوْسِهِ ومِنطَقَتِهِ. وكانَ داوُدُ يَخرُجُ إلَى حَيثُما أرسَلهُ شاوُلُ. كانَ يُفلِحُ. فجَعَلهُ شاوُلُ علَى رِجالِ الحَربِ. وحَسُنَ في أعيُنِ جميعِ الشَّعبِ وفي أعيُنِ عَبيدِ شاوُلَ أيضًا.

وكانَ عِندَ مَجيئِهِمْ حينَ رَجَعَ داوُدُ مِنْ قَتلِ الفِلِسطينيِّ، أنَّ النِّساءَ خرجَتْ مِنْ جميعِ مُدُنِ إسرائيلَ بالغِناءِ والرَّقصِ للِقاءِ شاوُلَ المَلِكِ بدُفوفٍ وبفَرَحٍ وبمُثلَّثاتٍ. فأجابَتِ النِّساءُ اللّاعِباتُ وقُلنَ:

«ضَرَبَ شاوُلُ أُلوفهُ

وداوُدُ رِبواتِهِ (الربوة عشرة آلاف).

فاحتَمى (غضب) شاوُلُ جِدًّا وساءَ هذا الكلامُ في عَينَيهِ، وقالَ: «أعطَينَ داوُدَ رِبواتٍ وأمّا أنا فأعطَينَني الأُلوفَ! وبَعدُ فقط تبقَى لهُ المَملكَةُ». فكانَ شاوُلُ يُعاينُ (يراقب) داوُدَ مِنْ ذلكَ اليومِ فصاعِدًا.

وكانَ في الغَدِ أنَّ الرّوحَ الرَّديءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ اقتَحَمَ (هاجم) شاوُلَ وجُنَّ (أصابته نوبة جنون) في وسَطِ البَيتِ. وكانَ داوُدُ يَضرِبُ بيَدِهِ (يعزف على العود) كما في يومٍ فيومٍ، وكانَ الرُّمحُ بيَدِ شاوُلَ. فأشرَعَ (رمى) شاوُلُ

الرُّمحَ وقالَ: «أضرِبُ داوُدَ حتَّى إلَى الحائطِ (سأسمره على الحائط)». فتحَوَّلَ داوُدُ مِنْ أمامِهِ مَرَّتَينِ.

وكانَ شاوُلُ يَخافُ داوُدَ لأنَّ الرَّبَّ كانَ معهُ، وقَدْ فارَقَ شاوُلَ. فأبعَدَهُ شاوُلُ عنهُ وجَعَلَهُ لهُ رَئيسَ ألفٍ، فكانَ يَخرُجُ ويَدخُلُ (يحارب وينتصر) أمامَ الشَّعبِ. وكانَ داوُدُ مُفلِحًا في جميعِ طُرُقِهِ والرَّبُّ معهُ. فلَمّا رأى شاوُلُ أنَّهُ مُفلِحٌ جِدًّا فزِعَ مِنهُ. وكانَ جميعُ إسرائيلَ ويَهوذا يُحِبّونَ داوُدَ لأنَّهُ كانَ يَخرُجُ ويَدخُلُ أمامَهُمْ.

حاول شاول فهم سبب تعاسته والفوضى التي يعيش فيها. وكلما مرت الأيام كلما أصبح شكاكًا أكثر في كل مَن حوله، حتى عائلته بما فيهم ابنه يوناثان وابنته ميكال، فهم يميلون لداود ويفضلونه عليه. لذلك ازداد غضب شاول وحسده وحقده على داود، لأنه أصبح يمثل أكبر تهديد له، ولهذا بذل محاولات كثيرة لقتله. في النهاية لم يجد داود أمامه حلاً سوى أن يهرب لينجو بحياته. ولكن شاول استمر في مطاردة داود، وعندما علم شاول أن ٨٥ كاهنًا ساعدوا داود على الاختباء، أمر بقتلهم جميعًا.

انضم إلى داود ٦٠٠ رجلاً، فصاروا من أتباعه المخلصين. ورغم أن عددهم لم يكن كافيًا لتحدي جيش إسرائيل، إلا أنهم شكلوا قوة هجومية كبيرة. وفي الوقت الذي كان فيه شاول يُعد يوناثان ابنه ليكون هو الملك، كان يوناثان ينقل الأخبار إلى داود لأنه كان متأكدًا أن داود هو ملك إسرائيل القادم. أما داود فقد كان دائمًا يضع مخاوفه أمام الله، ويصلي طالبًا معونة لطرد الخوف من داخله، وكثيرًا ما لجأ إلى الله في صلاته لكي ينقذه.

أنقِذني مِنْ أعدائي يا إلهي.
مِنْ مُقاوِميَّ احمِني.
نَجِّني مِنْ فاعِلي الإثمِ،

ومِنْ رِجالِ الدِّماءِ خَلِّصني،
لأنَّهُمْ يَكمِنونَ لنَفسي (يتربصون).
الأقوياءُ يَجتَمِعونَ علَيَّ،
لا لإثمي ولا لخَطيَّتي يا رَبُّ.
بلا إثمٍ مِنّي يَجرونَ ويُعِدّونَ أنفُسَهُمُ.
استَيقِظْ إلَى لقائي وانظُرْ!
وأنتَ يا رَبُّ إلهَ الجُنودِ،
إلهَ إسرائيلَ انتَبِهْ
لتُطالِبَ كُلَّ الأُمَمِ.
كُلَّ غادِرٍ أثيمٍ لا ترحَمْ.
مِنْ قوَّتِهِ، إلَيكَ ألتَجِئُ،
لأنَّ اللهَ مَلجإي.
أمّا أنا فأُغَنّي بقوَّتِكَ،
وأُرَنِّمُ بالغَداةِ (في الصباح) برَحمَتِكَ،
لأنَّكَ كُنتَ مَلجأً لي،
ومَناصًا (حصنًا منيعًا) في يومِ ضيقي.
يا قوَّتي لكَ أُرَنِّمُ،
لأنَّ اللهَ مَلجإي، إلهُ رَحمَتي.

استمر شاول في مطاردته لداود، واقترب كثيرًا من تحقيق هدفه، إلا أن داود كان في كل مرة يتفوق على شاول ببراعة. ورغم أن داود أظهر شجاعة كبيرة في كل المعارك التي قادها، إلا أن أكثر تلك المواقف شجاعة هي التي حدثت عندما التقى داود مع شاول في الكهف المظلم الذي في برية عين جدي.

لَمّا رَجَعَ شاوُلُ مِنْ وراءِ الفِلِسطينيّينَ أخبَروهُ قائلينَ: «هوذا داوُدُ في بَرّيَّةِ عَينِ جَدي». فأخَذَ شاوُلُ ثَلاثَةَ آلافِ رَجُلٍ مُنتَخَبينَ (أفضل الجنود) مِنْ جميعِ إسرائيلَ وذَهَبَ يَطلُبُ داوُدَ ورِجالَهُ علَى صُخورِ الوُعول.

وجاءَ إلَى صيَرِ (حظائر) الغَنَمِ الّتي في الطريقِ. وكانَ هناكَ كهفٌ فدَخَلَ شاوُلُ لكَيْ يُغَطّيَ رِجلَيهِ (يقضي حاجته)، وداوُدُ ورِجالُهُ كانوا جُلوسًا في مَغابِنِ (أعماق) الكَهفِ. فقالَ رِجالُ داوُدَ لهُ: «هوذا اليومُ الّذي قالَ لكَ عنهُ الرَّبُّ: هأنَذا أدفَعُ عَدوَّكَ ليَدِكَ فتفعَلُ بهِ ما يَحسُنُ في عَينَيكَ». فقامَ داوُدُ وقَطَعَ طَرَفَ جُبَّةِ شاوُلَ سِرًّا.

وكانَ بَعدَ ذلكَ أنَّ قَلبَ داوُدَ ضَرَبَهُ (وبخه ضميره) علَى قَطعِهِ طَرَفَ جُبَّةِ شاوُلَ، فقالَ لرِجالِهِ: «حاشا لي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أنْ أعمَلَ هذا الأمرَ بسَيِّدي، بمَسيحِ الرَّبِّ، فأمُدَّ يَدي إليهِ، لأنَّهُ مَسيحُ الرَّبِّ هو». فوَبَّخَ داوُدُ رِجالهُ بالكلامِ، ولَمْ يَدَعهُمْ يَقومونَ (يهجمون) علَى شاوُلَ. وأمّا شاوُلُ فقامَ مِنَ الكَهفِ وذَهَبَ في طريقِهِ.

ثُمَّ قامَ داوُدُ بَعدَ ذلكَ وخرجَ مِنَ الكَهفِ ونادَى وراءَ شاوُلَ قائلًا: «يا سيِّدي المَلِكُ». ولَمّا التَفَتَ شاوُلُ إلَى ورائِهِ، خَرَّ داوُدُ علَى وجهِهِ إلَى الأرضِ وسَجَدَ. وقالَ داوُدُ لشاوُلَ: «لماذا تسمَعُ كلامَ النّاسِ القائلينَ: هوذا داوُدُ يَطلُبُ أذيَّتَكَ؟ هوذا قد رأتْ عَيناكَ اليومَ هذا كيفَ دَفَعَكَ الرَّبُّ اليَومَ ليَدي في الكَهفِ، وقيلَ لي أنْ أقتُلَكَ، ولكنني أشفَقتُ علَيكَ وقُلتُ: لا أمُدُّ يَدي إلَى سيِّدي، لأنَّهُ مَسيحُ الرَّبِّ هو. فانظُرْ يا أبي، انظُرْ أيضًا طَرَفَ جُبَّتِكَ بيَدي. فمِنْ قَطعي طَرَفَ جُبَّتِكَ وعَدَمِ قَتلي إيّاكَ اعلَمْ وانظُرْ أنَّهُ ليس في يَدي شَرٌّ ولا جُرمٌ، ولَمْ أُخطِئْ إلَيكَ، وأنتَ تصيدُ نَفسي لتأخُذَها. يَقضي الرَّبُّ بَيني وبَينَكَ ويَنتَقِمُ لي

الرَّبُّ مِنكَ، ولكن يَدي لا تكونُ علَيكَ. كما يقولُ مَثَلُ القُدَماءِ: مِنَ الأشرارِ يَخرُجُ شَرٌّ. ولكن يَدي لا تكونُ علَيكَ.

وراءَ مَنْ خرجَ مَلِكُ إسرائيلَ؟ وراءَ مَنْ أنتَ مُطارِدٌ؟ وراءَ كلبٍ مَيتٍ! وراءَ بُرغوثٍ واحِدٍ! فيكونُ الرَّبُّ الدَّيّانَ ويَقضي بَيني وبَينَكَ، ويَرَى ويُحاكِمُ مُحاكَمَتي، ويُنقِذُني مِنْ يَدِكَ».

فلَمّا فرَغَ داوُدُ مِنَ التَّكلُّمِ بهذا الكلامِ إلَى شاوُلَ، قالَ شاوُلُ: «أهذا صوتُكَ يا ابني داوُدُ؟» ورَفَعَ شاوُلُ صوتَهُ وبَكَى. ثُمَّ قالَ لداوُدَ: «أنتَ أبَرُّ (أفضل) مِنّي، لأنَّكَ جازَيتَني خَيرًا وأنا جازَيتُكَ شَرًّا. وقَدْ أظهَرتَ اليومَ أنَّكَ عَمِلتَ بي خَيرًا، لأنَّ الرَّبَّ قد دَفَعَني بيَدِكَ ولَمْ تقتُلني. فإذا وجَدَ رَجُلٌ عَدوَّهُ، فهل يُطلِقُهُ في طريقِ خَيرٍ؟ فالرَّبُّ يُجازيكَ خَيرًا عَمّا فعَلتَهُ لي اليومَ هذا. والآنَ فإنّي عَلِمتُ أنَّكَ تكونُ مَلِكًا وتَثبُتُ بيَدِكَ مَملكَةُ إسرائيلَ. فاحلِفْ لي الآنَ بالرَّبِّ إنَّكَ لا تقطَعُ نَسلي مِنْ بَعدي، ولا تُبيدُ اسمي مِنْ بَيتِ أبي». فحَلَفَ داوُدُ لشاوُلَ. ثُمَّ ذَهَبَ شاوُلُ إلَى بَيتِهِ، وأمّا داوُدُ ورِجالُهُ فصَعِدوا إلَى الحِصنِ.

وكلَّمَ داوُدُ الرَّبَّ بكلامِ هذا النَّشيدِ في اليومِ الّذي أنقَذَهُ فيهِ الرَّبُّ مِنْ أيدي كُلِّ أعدائِهِ ومِنْ يَدِ شاوُلَ، فقالَ:

«الرَّبُّ صَخرَتي وحِصني ومُنقِذي،
إلهُ صَخرَتي بهِ أحتَمي.
تُرسي وقَرنُ خَلاصي.
مَلجإي ومَناصي مُخَلِّصي،
مِنَ الظُّلمِ تُخَلِّصُني.
أدعو الرَّبَّ الحَميدَ فأتَخَلَّصُ مِنْ أعدائي.
لأنَّ أمواجَ الموتِ اكتَنَفَتني (أحاطت بي).

سُيولُ الهَلاكِ أفزَعَتني.
حِبالُ الهاويَةِ أحاطَتْ بي.
شُرُكُ (فخ) الموتِ أصابَتني.
في ضيقي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وإلَى إلهي صَرَختُ،
فسمِعَ مِنْ هَيكلِهِ صوتي، وصُراخي دَخَلَ أُذُنيهِ.
حَيٌّ هو الرَّبُّ، ومُبارَكٌ صَخرَتي،
ومُرتَفَعٌ إلهُ صَخرَةِ خَلاصي.

معاهدة السلام التي تمت بين داود وشاول، بألا يقتل أحدهما الآخر، كان من المفترض أن تجعل الأمور أكثر هدوءًا واستقرارًا. ولكن شاول كالمعتاد لم يحترم الاتفاق، واستمر في مطاردة داود. أما داود فبكل حكمة أخذ رجاله المخلصين وانسحب إلى حدود فلسطين ليكون بعيدًا عن يد شاول. وما يدعو للعجب أن داود الملك القادم لإسرائيل، نصب خيامه مع أناس كانوا قبلاً قد حاربوه وهجموا على أرضه وشعبه بل وقتلوا صديقه الحميم.

وحارَبَ الفِلِسطينيّونَ إسرائيلَ، فهَرَبَ رِجالُ إسرائيلَ مِنْ أمامِ الفِلِسطينيّينَ وسَقَطوا قَتلَى في جَبَلِ جِلبوعَ. فشَدَّ الفِلِسطينيّونَ وراءَ شاوُلَ وبَنيهِ، وضَرَبَ الفِلِسطينيّونَ يوناثانَ وأبيناداب ومَلكيشوعَ أبناءَ شاوُلَ. واشتَدَّتِ الحَربُ علَى شاوُلَ فأصابَهُ الرُّماةُ رِجالُ القِسيِّ (يضربون بالقوس)، فانجَرَحَ جِدًّا مِنَ الرُّماةِ. فقالَ شاوُلُ لحامِلِ سِلاحِهِ: «استَلَّ سيفَكَ واطعَنّي بهِ لئَلّا يأتيَ هؤُلاءِ الغُلفُ ويَطعَنوني ويُقَبِّحوني». فلَمْ يَشأْ حامِلُ سِلاحِهِ لأَنَّهُ خافَ جِدًّا. فأخَذَ شاوُلُ السَّيفَ وسَقَطَ علَيهِ. ولَمّا رأى حامِلُ سِلاحِهِ أَنَّهُ قد ماتَ شاوُلُ، سقَطَ هو أيضًا علَى سيفِهِ وماتَ معهُ.

فماتَ شاوُلُ وبَنوهُ الثَّلاثَةُ وحامِلُ سِلاحِهِ وجميعُ رِجالِهِ في ذلكَ اليومِ مَعًا. ولَمّا رأى رِجالُ إسرائيلَ الّذينَ في عَبرِ الوادي والّذينَ في عَبرِ الأُردُنِّ أنَّ رِجالَ إسرائيلَ قد هَرَبوا، وأنَّ شاوُلَ وبَنيهِ قد ماتوا، تَرَكوا المُدُنَ وهَرَبوا. فأتَى الفِلِسطينيّونَ وسَكَنوا بها.

وفي الغَدِ لَمّا جاءَ الفِلِسطينيّونَ لِيُعَرّوا القَتلَى، وجَدوا شاوُلَ وبَنيهِ الثَّلاثَةَ ساقِطينَ في جَبَلِ جِلبوعَ. فقَطَعوا رأسَهُ ونَزَعوا سِلاحَهُ، وأرسَلوا إلَى أرضِ الفِلِسطينيّينَ في كُلِّ جِهَةٍ لأجلِ التَّبشيرِ (إعلان الخبر) في بَيتِ أصنامِهِمْ وفي الشَّعبِ. ووضَعوا سِلاحَهُ في بَيتِ عَشتاروثَ، وسَمَّروا جَسَدَهُ علَى سورِ بَيتِ شانَ. ولَمّا سمِعَ سُكّانُ يابيش جِلعادَ بما فعَلَ الفِلِسطينيّونَ بشاوُلَ، قامَ كُلُّ ذي بأسٍ وساروا اللَّيلَ كُلَّهُ، وأخَذوا جَسَدَ شاوُلَ وأجسادَ بَنيهِ عن سورِ بَيتِ شانَ، وجاءوا بها إلَى يابيشَ وأحرَقوها هناكَ.

حزن داود بشدة ليس فقط لموت يوناثان بل لموت شاول أيضًا. إلا أن دعوة الله لداود لأن يكون ملكًا كانت تتأكد مع مرور الأيام. فقد أتى رجال سبط يهوذا، السبط الذي ينتمي إليه داود، إلى حبرون وأقاموا داود ملكًا عليهم. ولكن لم يملك داود على كل إسرائيل إلا بعد ٧ سنين من المقاومة بينه وبين بعض الموالين لشاول لأنهم أرادوا أن يجعلوا ابن شاول إيشبوشث يملك بعدَ أبيه.

بعد أن ملك داود على كل إسرائيل قاد الشعب في حربين ضد الفلسطينيين وانتصر عليهم. وضرب أيضًا اليبوسيين الساكنين أورشليم، وجعلها عاصمة إسرائيل.

كان اهتمام داود الأكبر ليس نجاح الجيش، ولكن اهتمامه انصب على محبته لله ورغبته في أن يحب كل الشعب الرب أيضًا. وهذا قاده لاستعادة تابوت العهد من بيت أبيناداب. وقد كان موكب نقل التابوت إلى مكانه الجديد في أورشليم، مدينة داود، موكبًا من الفرح والهتاف.

وجَمَعَ داوُدُ أيضًا جميعَ المُنتَخَبينَ في إسرائيلَ، ثَلاثينَ ألفًا. وقامَ داوُدُ وذَهَبَ هو وجميعُ الشَّعبِ الّذي معهُ مِنْ بَعَلَةِ يَهوذا، ليُصعِدوا مِنْ هناكَ تابوتَ اللهِ، الّذي يُدعَى علَيهِ بالاسمِ، اسمِ رَبِّ الجُنودِ، الجالِسِ علَى الكَروبيمِ. فأركَبوا تابوتَ اللهِ علَى عَجَلَةٍ (عربة بعجلات تجرها ثيران) جديدَةٍ، وحَمَلوهُ مِنْ بَيتِ أبيناداب الّذي في الأكَمَةِ. وكانَ عُزَّةُ وأخيو، ابنا أبيناداب يَسوقانِ العَجَلَةَ الجديدَةَ. فأخَذوها مِنْ بَيتِ أبيناداب الّذي في الأكَمَةِ مع تابوتِ اللهِ. وكانَ أخيو يَسيرُ أمامَ التّابوتِ، وداوُدُ وكُلُّ بَيتِ إسرائيلَ يَلعَبونَ أمامَ الرَّبِّ بكُلِّ أنواعِ الآلاتِ مِنْ خَشَبِ السَّروِ، بالعيدانِ وبالرَّبابِ وبالدُّفوفِ وبالجُنوكِ وبالصُّنوجِ.

ولَمّا انتَهَوْا إلَى بَيدَرِ ناخونَ مَدَّ عُزَّةُ يَدَهُ إلَى تابوتِ اللهِ وأمسَكَهُ، لأنَّ الثّيرانَ انشَمَصَتْ (تعثرت). فحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَى عُزَّةَ، وضَرَبَهُ اللهُ هناكَ لأجلِ غَفَلِهِ (عدم انتباهه)، فماتَ هناكَ لَدَى تابوتِ اللهِ. فاغتاظَ داوُدُ لأنَّ الرَّبَّ اقتَحَمَ عُزَّةَ اقتِحامًا، وسَمَّى ذلكَ المَوْضِعَ «فارِصَ عُزَّةَ» إلَى هذا اليومِ. وخافَ داوُدُ مِنَ الرَّبِّ في ذلكَ اليومِ وقالَ: «كيفَ يأتي إلَيَّ تابوتُ الرَّبِّ؟» ولَمْ يَشأْ داوُدُ أنْ يَنقُلَ تابوتَ الرَّبِّ إليهِ، إلَى مدينةِ داوُدَ، فمالَ بهِ داوُدُ إلَى بَيتِ عوبيدَ أدومَ الجَتّيِّ. وبَقيَ تابوتُ الرَّبِّ في بَيتِ عوبيدَ أدومَ الجَتّيِّ ثَلاثَةَ أشهُرٍ. وبارَكَ الرَّبُّ عوبيدَ أدومَ وكُلَّ بَيتِهِ.

فأُخبِرَ المَلِكُ داوُدُ وقيلَ لهُ: «قد بارَكَ الرَّبُّ بَيتَ عوبيدَ أدومَ، وكُلَّ ما لهُ بسَبَبِ تابوتِ اللهِ». فذَهَبَ داوُدُ وأصعَدَ تابوتَ اللهِ مِنْ بَيتِ عوبيدَ أدومَ إلَى مدينةِ داوُدَ بفَرَحٍ. وكانَ كُلَّما خَطا حامِلو تابوتِ الرَّبِّ سِتَّ خَطَواتٍ يَذبَحُ ثَوْرًا وعِجلاً مَعلوفًا. وكانَ داوُدُ يَرقُصُ بكُلِّ قوَّتِهِ أمامَ

الرَّبِّ. وكانَ داوُدُ مُتَنَطِّقًا بأفودٍ مِنْ كتّانٍ. فأصعَدَ داوُدُ وجميعُ بَيتِ إسرائيلَ تابوتَ الرَّبِّ بالهُتافِ وبصوتِ البوقِ.

فرحة داود الغامرة دفعته لعمل موكب شعبي مهيب مليء بالعبادة والكثير من الذبائح، للاحتفال بإحضار تابوت العهد إلى أورشليم. وقد شاركه الشعب هذا الحماس والفرح إلا زوجته ميكال، لم تكن بهذا القدر من السعادة بسبب تصرفات زوجها غير الوقورة في نظرها.

ولَمّا دَخَلَ تابوتُ الرَّبِّ مدينةَ داوُدَ، أشرَفَتْ ميكالُ بنتُ شاوُلَ مِنَ الكوَّةِ ورأتِ المَلِكَ داوُدَ يَطفُرُ (يقفز بفرح) ويَرقُصُ أمامَ الرَّبِّ، فاحتَقَرَتهُ في قَلبِها. فأدخَلوا تابوتَ الرَّبِّ وأوقَفوهُ في مَكانِهِ في وسَطِ الخَيمَةِ الّتي نَصَبَها لهُ داوُدُ. وأصعَدَ داوُدُ مُحرَقاتٍ أمامَ الرَّبِّ وذَبائحَ سلامَةٍ. ولَمّا انتَهى داوُدُ مِنْ إصعادِ المُحرَقاتِ وذَبائحِ السَّلامَةِ بارَكَ الشَّعبَ باسمِ رَبِّ الجُنودِ. وقَسَمَ على جميعِ الشَّعبِ، على كُلِّ جُمهورِ إسرائيلَ رِجالًا ونِساءً، على كُلِّ واحِدٍ رَغيفَ خُبزٍ وكأسَ خمرٍ وقُرصَ زَبيبٍ. ثُمَّ ذَهَبَ كُلُّ الشَّعبِ كُلُّ واحِدٍ إلى بَيتِهِ، ورَجَعَ داوُدُ ليُبارِكَ بَيتَهُ.

فخرجَتْ ميكالُ بنتُ شاوُلَ لاستِقبالِ داوُدَ، وقالَتْ: «ما كانَ أكرَمَ مَلِكَ إسرائيلَ اليومَ، حَيثُ تكشَّفَ (تعرى) اليومَ في أعيُنِ إماءِ عَبيدِهِ كما يتَكَشَّفُ أحَدُ السُّفَهاءِ». فقالَ داوُدُ لميكالَ: «إنَّما أمامَ الرَّبِّ الّذي اختارَني دونَ أبيكِ ودونَ كُلِّ بَيتِهِ ليُقيمَني رَئيسًا على شَعبِ الرَّبِّ إسرائيلَ، فلَعِبتُ أمامَ الرَّبِّ. وإنّي أتَصاغَرُ دونَ ذلكَ وأكونُ وضيعًا في عَينَيْ نَفسي، وأمّا عِندَ الإماءِ الّتي ذَكَرتِ فأتَمَجَّدُ». ولَمْ يَكُنْ لميكالَ بنتِ شاوُلَ ولَدٌ إلى يومِ موتِها.

أدرك داود أن تابوت الرب الثمين يستحق أن يوضع في مسكن مهيب. ووضع داود في قلبه أن يكون هذا البيت من البهاء والروعة للدرجة التي تجعل كل شعوب العالم تعترف بعظمة إله هذا البيت. فتقابل الملك داود مع النبي ناثان ليعرف منه رأي الرب في هذا الأمر. وعندما أخبره النبي ناثان برأي الرب أصابه الذهول.

وكانَ لَمّا سكَنَ داوُدُ في بَيتِهِ، قالَ داوُدُ لناثانَ النَّبيِّ: «هأنَذا ساكِنٌ في بَيتٍ مِنْ أرزٍ، وتابوتُ عَهدِ الرَّبِّ تحتَ شُقَقٍ (قماش)!» فقالَ ناثانُ لداوُدَ: «افعَلْ كُلَّ ما في قَلبِكَ لأنَّ اللهَ معكَ».

وفي تِلكَ اللَّيلَةِ كانَ كلامُ اللهِ إلَى ناثانَ قائلًا: «اذهَبْ وقُلْ لداوُدَ عَبدي: هكذا قالَ الرَّبُّ: أنتَ لا تبني لي بَيتًا للسُّكنَى، لأنّي لَمْ أسكُنْ في بَيتٍ منذُ يومِ أصعَدتُ إسرائيلَ إلَى هذا اليومِ، بل سِرتُ مِنْ خَيمَةٍ إلَى خَيمَةٍ، ومِنْ مَسكَنٍ إلَى مَسكَنٍ. في كُلِّ ما سِرتُ مع جميع إسرائيلَ، هل تكلَّمتُ بكلِمَةٍ مع أحَدِ قُضاةِ إسرائيلَ الّذينَ أمَرتُهُمْ أنْ يَرعَوْا شَعبي إسرائيلَ قائلًا: لماذا لَمْ تبنوا لي بَيتًا مِنْ أرزٍ؟

والآنَ فهكذا تقولُ لعَبدي داوُدَ: هكذا قالَ رَبُّ الجُنودِ: أنا أخَذتُكَ مِنَ المَربَضِ، مِنْ وراءِ الغَنَمِ لتَكونَ رَئيسًا علَى شَعبي إسرائيلَ، وكُنتُ معكَ حَيثُما توَجَّهتَ، وقَرَضتُ جميعَ أعدائكَ مِنْ أمامِكَ، وعَمِلتُ لكَ اسمًا كاسمِ العُظَماءِ الّذينَ في الأرضِ. وعَيَّنتُ مَكانًا لشَعبي إسرائيلَ وغَرَستُهُ فسكَنَ في مَكانِهِ، ولا يَضطَرِبُ بَعدُ، ولا يَعودُ بَنو الإثمِ يَبلونَهُ كما في الأوَّلِ، ومنذُ الأيّامِ الّتي فيها أقَمتُ قُضاةً علَى شَعبي إسرائيلَ. وأذلَلتُ جميعَ أعدائكَ. وأُخبِرُكَ أنَّ الرَّبَّ يَبني لكَ بَيتًا. ويكونُ مَتَى كمَلَتْ أيّامُكَ لتَذهَبَ مع آبائكَ، أنّي أُقيمُ بَعدَكَ نَسلكَ الّذي يكونُ مِنْ بَنيكَ وأُثبِّتُ مَملكَتَهُ. هو يَبني لي بَيتًا وأنا أُثبِّتُ كُرسيَّهُ إلَى الأبدِ. أنا

أكونُ لهُ أبًا وهو يكونُ ليَ ابنًا، ولا أنزِعُ رَحمَتي عنهُ كما نَزَعتُها عن الّذي كانَ قَبلكَ. وأُقيمُهُ في بَيتي وملكوتي إلَى الأبدِ، ويكونُ كُرسيُّهُ ثابِتًا إلَى الأبدِ». فحَسَبَ جميعِ هذا الكلامِ وحَسَبَ كُلِّ هذِهِ الرّؤيا كذلكَ كلَّمَ ناثانُ داوُدَ.

فدَخَلَ المَلِكُ داوُدُ وجَلَسَ أمامَ الرَّبِّ وقالَ: «مَنْ أنا أيُّها الرَّبُّ الإلهُ، وماذا بَيتي حتَّى أوصَلتَني إلَى هنا؟ وقَلَّ هذا في عَينَيكَ يا اللهُ فتكلَّمتَ عن بَيتِ عَبدِكَ إلَى زَمانٍ طَويلٍ، ونَظَرتَ إلَيَّ مِنَ العَلاءِ كعادَةِ الإنسانِ أيُّها الرَّبُّ الإلهُ. فماذا يَزيدُ داوُدُ بَعدُ لكَ لأجلِ إكرامِ عَبدِكَ وأنتَ قد عَرَفتَ عَبدَكَ؟ يا رَبُّ، مِنْ أجلِ عَبدِكَ وحَسَبَ قَلبِكَ قد فعَلتَ كُلَّ هذِهِ العَظائمِ، لتَظهَرَ جميعُ العَظائم يا رَبُّ، ليس مِثلُكَ ولا إلهَ غَيرُكَ حَسَبَ كُلِّ ما سمِعناهُ بآذانِنا. وأيَّةُ أُمَّةٍ علَى الأرضِ مِثلُ شَعبِكَ إسرائيلَ الّذي سارَ اللهُ ليَفتَديَهُ لنَفسِهِ شَعبًا، لتَجعَلَ لكَ اسمَ عَظائمَ ومَخاوِفَ بطَردِكَ أُممًا مِنْ أمامِ شَعبِكَ الّذي افتَدَيتَهُ مِنْ مِصرَ. وقَدْ جَعَلتَ شَعبَكَ إسرائيلَ لنَفسِكَ شَعبًا إلَى الأبدِ، وأنتَ أيُّها الرَّبُّ صِرتَ لهُمْ إلهًا.

والآنَ أيُّها الرَّبُّ، ليَثبُتْ إلَى الأبدِ الكلامُ الّذي تكلَّمتَ بهِ عن عَبدِكَ وعَنْ بَيتِهِ وافعَلْ كما نَطَقتَ. وليَثبُتْ ويَتَعَظَّمِ اسمُكَ إلَى الأبدِ، فيُقالَ: رَبُّ الجُنودِ إلهُ إسرائيلَ. هو اللهُ لإسرائيلَ وليَثبُتْ بَيتُ داوُدَ عَبدِكَ أمامَكَ. لأنَّكَ يا إلهي قد أعلَنتَ لعَبدِكَ أنَّكَ تبني لهُ بَيتًا، لذلكَ وجَدَ عَبدُكَ أنْ يُصَلّيَ أمامَكَ. والآنَ أيُّها الرَّبُّ، أنتَ هو اللهُ، وقَدْ وعَدتَ عَبدَكَ بهذا الخَيرِ. والآنَ قد ارتَضَيتَ بأنْ تُبارِكَ بَيتَ عَبدِكَ ليكونَ إلَى الأبدِ أمامَكَ، لأنَّكَ أنتَ يا رَبُّ قد بارَكتَ وهو مُبارَكٌ إلَى الأبدِ».

ولأهمية الجيش في كل الشعوب، قام الملك داود بإعداد جيش قوي ومنظم، واختار له قيادات فعالة ومحل ثقة. وقاد داود هذا الجيش باستراتيجية جيدة مكنته من تثبيت حدود مملكته وإنهاء أي نزاعات إقليمية. وبهذا الجيش خاض داود معركتين حقق فيهما نصرًا ساحقًا. ولم يكن داود قائدًا حربيًا فقط، بل كان شاعرًا، والأهم أنه كان رجلاً حسب قلب الله. وإذ كان داود يحب الله ويطيعه ويجعله أولاً في كل أمر، فقد باركه الله وأعطاه أن يكون داود الراعي الملك.

ولكن داود لم يكن كاملاً، ففي أحد الأيام كان الجيش قد خرج للحرب وبقي داود في أورشليم، وإذ به يواجه عدوًا داخليًا أشد قسوة من كل الأعداء الذين واجههم في حروبه.

القصة أعظم قصة شهدها التاريخ

تخبرنا **القصة** عن عمل الله العظيم
من أجل إنقاذ وخلاص العالم، **"قصة محبة الله للإنسان"**.
والتي تدور أحداثها في ٣١ فصل شيق وبسيط،
نقرأ فيها أجزاء من الكتاب المقدس
ونتعرف من خلالها على العديد
من الأحداث والشخصيات.

نُسجت أحداث **القصة** في سياق متسلسل ومتكامل
بداية من سفر التكوين وحتى نهاية سفر الرؤيا،
بطريقة عميقة وشيقة مليئة بالمواقف والصراعات
والتحديات والأحداث المؤثرة
التي توجت بفداء الله وخلاصه للبشرية.

القصة، هي قصة حقيقية

دار الكتاب المقدس
The Bible Society of Egypt

9789772304479